موقف الإمام المغيلي من أهل الذمة
في
ضوء رسالته مصباح الأرواح في أصول الفلاح

بقلم الدكتور

إبراهيم محمد محمود أبوسعيد

عضو هيئة التدريس

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

قسم التاريخ والحضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين... وبعد:

لم يشهد التاريخ ولا البشرية مجتمعات متسامحة مع أصحاب الديانات المخالفة المنعوتون عند المسلمين بأهل الذمة مثلما شهدته المجتمعات الإسلامية التي التزمت بمبدأ العدل والتسامح إنطلاقاً من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي وجدت تطبيقاً عملياً منذ لحظة صدورها وحتى حاضرنا إلى أن تقوم الساعة بدءًا من أعلى سلطة وانتهاءًا بعامة المسلمين.

غير أن تلك السياسة قد قابلها أهل الذمة الذين كانوا يعيشون مع المسلمين وهم جزء منهم بالجحود والإنكار وبالأخص اليهود الذين كانوا يتحينون الفرص فيظهرون الحقد والحسد والبغض للمسلمين ويعيثون فسادًا في بلادهم، ولا غرابة في ذلك فهم قد جبلوا على سوء الأخلاق كما أخبرنا المولى (ﷻ) عنهم واصفًا إياهم بالكفر والجحود والجبن والكذب والخداع وأكل أموال الناس بالباطل وكراهتهم الخير لغيرهم ونقضهم للعهود والمواثيق ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ البقرة: آية رقم١٠٠ وغير ذلك من القبائح والرذائل التي سجلها عليهم القرآن الكريم ولا يزال يراها الناس فيهم واضحة جلية على طول الأزمنة واختلاف الأمكنة.

وما إن سقطت دولة الموحدين ببلاد المغرب حتى قام على أنقاضها دويلات كانت متناحرة فيما بينها مما أدى إلى ضعفها وهو الوضع

الذي استغله اليهود لصالحهم فعاثوا في المنطقة فسادًا وإفسادًا جهرة متخذين من ذوي السلطان حماية لهم لتحقيق مآربهم الخبيثة وامتد فسادهم من الشمال الإفريقي إلى الداخل الإفريقي حيث الواحات الصحراوية وبلاد السودان الغربي، وقد بلغ هذا الإفساد أوجه في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع حتى منتصف القرن العاشر الهجري فتصدى لهم أحد علماء الدين وهو الإمام المغيلي الذي نحن بصدد دراسته والحديث عنه٠

أما **الهدف من هذه الدراسة** فهو التأريخ لإحدى القضايا الفكرية والحضارية التي شغلت الرأي العام وقتها داخلياً وخارجياً ولا يزال صداها موجوداً فأردت أن يكون لي الشرف الإسهام فيها فاخترت موضوعًا بعنوان:

"موقف الإمام المغيلي من أهل الذمة في ضوء رسالته مصباح الأرواح في أصول الفلاح"

وتأتي **أهمية هذه الدراسة** في أنها تسلط الضوء وتكشف عن الخطط والوسائل التي يتبعها اليهود في تحقيق أهدافهم ومخططاتهم، كما أنها توضح وتكشف عن الوسائل الناجعة لإفشال مخططاتهم والقضاء على طموحاتهم الفاسدة٠

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة٠

أمّا **المقدمة** فذكرت فيها أهمية الموضوع والهدف منه والأسباب التي أدت إلى اختياره، كما تناولت فيها أيضا وبإيجاز دراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة٠

ويأتي **المبحث الأول** وهو بعنوان: "ترجمة الإمام المغيلي" تعرضت في هذا المبحث لحياة الإمام المغيلي من ذكر اسمه ونسبه، وميلاده، ونشأته، وتعليمه، وشيوخه، وتلامذته، ومؤلفاته، وثناء العلماء عليه، ثم وفاته.

أمّا **المبحث الثاني**: فجاء بعنوان: "نشاط اليهود بإقليم توات" بينت في هذا المبحث أهمية هذا الإقليم اقتصادياً، ثم أوضحت تركيبته السكانية والتي كان منها اليهود الذين استوطنوا بالأماكن ذات الأهمية الاستراتيجية بهذا الإقليم ومارسوا فيه جميع الأنشطة ثم بينت طبيعة نشاطهم الاقتصادي، وأثرهم في الحياة السياسية والاجتماعية موضحاً الآثار السيئة التي خلفوها في المجتمع.

وجاء **المبحث الثالث** تحت عنوان: "موقف الإمام المغيلي من أهل الذمة" تناولت في هذا المبحث الفساد والفوضى الذي كان يعيشه سكان إقليم توات، ثم بينت نزول الإمام المغيلي بالمنطقة وتنقله بين ربوعها ودراسته لمشكلاتها ووضع الحلول المناسبة لها، وأوضحت فيه إثارته لقضية اليهود بالمنطقة وبنائهم للكنائس في جميع قصورها وتصديه للخطر الناجم عن إفسادهم في البلاد وتمكنه من طردهم من المنطقة، كما استعرضت فيه آراء المعارضين له والموافقين وما ترتب على ذلك من أحداث تاريخيه.

وأخيراً كانت **خاتمة البحث** التي ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

دراسة في المصادر والمراجع:

استندت في هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة وأهمها الرسالة التي ألفها الإمام المغيلي "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وهي الرسالة المتعلقة بأهل الذمة عموماً وباليهود خصوصاً وهي الرسالة التي أرسلها إلى العلماء بفاس وتونس وتلمسان لاستطلاع رأيهم في قضية يهود توات، كما استندت على كتاب : "المعيار المعرب" للونشريسي وهو من المعاصرين للأحداث ومؤلفه يُعَد من المصادر الأساسية للبحث فهو يعطي صورة واضحة عن توجهات العلماء لتأصيل التسامح بين أفراد المجتمع، كما يعطي صورة واضحة لردود العلماء المعارضين والمساندين للإمام المغيلي والجانب الفقهي لقضية يهود توات٠ ومن المصادر المهمة أيضا والمعاصرة رحلة ليو الإفريقي "الوزان" وكتابه "وصف إفريقيا" الذي استفدت منه كثيراً في معرفة أنشطة اليهود بالمجتمع، وتوطنهم وثرواتهم ومكانتهم الاجتماعية هذا فضلا عن تفصيلاته عن السلع التجارية الواردة والصادرة وما يشتهر به كل إقليم إضافة إلى رصده للانحرافات الأخلاقية التي كان يمارسها اليهود٠

ومن المصادر التي استندت إليها في تراجم الأفراد الذين ذكروا في ثنايا البحث كتاب: "نيل الابتهاج" للتنبكتي، وكتاب "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" لمؤلفه ابن عسكر، وكتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم، وغيرهم من كتب التراجم٠

أمَا المراجع المهمة التي رجعت إليها في هذا البحث فكان كتاب "المنهج الدعوي للإمام المغيلي" لمؤلفه حاج أحمد نورالدين، الدكتور/

خيرالدين شترة ومؤلفه "محمد بن عبدالكريم المغيلي المصلح الثائر"، والدكتورة/ فاطمة بوعمامة وكتابها "اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين ٧-٩هـ" وغير ذلك من المراجع المثبتة في هوامش البحث وهي كثيرة ومتنوعة.

وقد عانيت كثيراً في هذه الدراسة نظراً لقلة المصادر التي تناولت هذه الفترة بتلك المنطقة مع ندرة المعلومات في المصادر الموجودة.

ولقد أفادتني تلك الدراسة كثيراً في التعرف على تاريخ اليهود والوقوف على مكرهم وخداعهم ومخططاتهم الدنيئة وحبهم للمال الذي يفوق الحد، واستخدامهم لتلك الأموال في الفساد والإفساد للمجتمعات البشرية، وإثارتهم للفتن والدسائس بين البشر وبالأخص المسلمين منهم، وهم يستندون في فسادهم على كتب ونظم ومقررات لتحقيق مصالحهم والسيطرة على العالم أجمع، ولهذا كان من الواجب علينا أن نتتبع أخبارهم وأحوالهم لنكون على بصيرة من مكائدهم وأعمالهم وهذا مما سيكشف عنه البحث.

وأرجو بهذا العمل البسيط والمتواضع أن أكون قد أسهمت بشيء في هذا البناء الحضاري والفكري المتطاول البنيان.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

وبالله التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير

إبراهيم محمد محمود أبوسعيد
عضو هيئة التدريس
بكلية اللغة العربية بالزقازيق
قسم التاريخ والحضارة

المبحث الأول

(ترجمة الإمام المغيلِي)

حقق الإمام المغيلي شهرة واسعة ومنزلة رفيعة، ومكانة سامية بمنطقة "السودان الغربي"[(١)] بعامة وإقليم "توات"[(٢)] بخاصة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تلك المنزلة لم ينلها أحد قبله من العلماء المغاربة٠

---

(١) السودان الغربي: يشمل حوض السنغال، غامبيا، وفولتا العليا، والنيجر الأوسط، وهو يمتد جغرافيا من الأطلس غرباً حتى الحدود الشرقية لنيجريا، ومن أطراف الصحراء الكبرى شمالاً حتى خط عرض١٦° شمال خط الاستواء جنوباً، وهو يمثل سدس المساحة الكلية لقارة إفريقيا٠ انظر: أ/ مبروك مقدم٠ الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد٠ دار الغرب سنة٢٠٠٦م وهران٠ الجزائر٠ ص٤١، حاج أحمد نور الدين٠ المنهج الدعوي للإمام المغيلي ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م الجزائر٠ ص١٤ ٠

(٢) توات هو: إقليم يقع بين خطي طول ١° شرقاً، ٣°درجات غرباً، وبين دائرتي عرض ٢٠° – ٣٠° شمالاً، وهو يقع بالجنوب الغربي للجزائر، وهو ولاية "أدرار" الحالية في الجزائر، تسكنه جنسيات مختلفة من عرب وزنوج وبربر ويهود٠ وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميته وهم على آراء كثيرة٠ انظر ذلك عند: حاج أحمد نور الدين٠ المنهج الدعوي للإمام المغيلي٠ ص١٧، ص٢٥ ، عبدالكريم طموز٠ تحقيق فهرس شيوخ الشيخ سيدي عبدالقادر التواتي٠ رسالة ماجستير مجازة٠ جامعة منتوري٠ مجلة العلوم الإنسانية ٠ قسم التاريخ ٠ قسنطنية الجزائر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م٠ ص٢٩ – ص٣٥ ٠

ولقد نال تلك المرتبة بسبب أفكاره وجهوده الإصلاحية، وقوة شكيمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشملت إصلاحاته كافة الجوانب في المجتمع.

فقد عمل على تصحيح عقائد المسلمين والعود بهم إلى صحيح الدين الإسلامي بعدما عَلِقَ بعقائدهم الكثير من البدع والخرافات، والمفاهيم الخاطئة، والتقاليد التي لا تمت إلى الإسلام بصلة[١]، كما بذل جهوداً عظيمة في نشر الدين الإسلامي بين القبائل الوثنية وكللت أعماله بالنجاح فدخل الكثير من تلك القبائل في الدين الإسلامي أفواجًا[٢].

كما كان له دور بارز ورئيس في الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية فوضع للملوك وللمالك المؤلفات بهذا الشأن وفق قواعد الدين الصحيح[٣].

---

(١) حاج أحمد نور الدين. المنهج الدعوي. ص٧٠ ، ص١٧٥ – ص١٧٨ .

(٢) ابن عسكر: محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م . دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تحقيق: د/ محمد حجي. مطبوعات دار المغرب الرباط ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ص١٣١، د/ خيرالدين شترة الشيخ بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي. منشورات وزارة الأوقاف ودار ابن الطفيل. ٢٠١١م الجزائر. ص٤ ، ص٧

(٣) للإمام المغيلي مؤلف يهتم بالجوانب السياسية والاقتصادية بعنوان: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. بيروت. لبنان.

مما كان سببًا وعاملًا قويًا في ازدهارها وإطالة مدة بقائها[١].

ونظراً لإسهاماته في تلك المجالات أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أهمية العود إلى هذا التراث لاستثماره والاستفادة منه في حل المشكلات السياسية الحاضرة التي تتعرض لها قارة إفريقيا[٢].

ولا نغفل دوره في تصديه لليهود في عصره بمنطقة "توات" الذين سيطروا على البلاد في غفلة من أهلها فكان إليهم شئوون الإدارة والسياسة والاقتصاد فردهم على أعقابهم وأنزلهم إلى حيث أنزلتهم الشريعة الإسلامية، وقاتلهم إلى أن طردهم نهائياً[٣].

ومجمل القول أن هذا الإمام كان عالماً عبقرياً فذّاً ذات رؤية نافذة وبصيرة واعية فَهِمَ أوضاع عصره وقدم لهم الحلول اللازمة والناجعة لمشكلاتهم فانتفع الناس بها في عهده، والأجيال التي أتت بعده فتربت وتعلمت واستفادت من تراثه الذي ظل باقيا حتى يومنا هذا، وانتفعت به

(١)ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣١ ٠

(٢) د/ خيرالدين شترة٠ الشيخ بن عبدالكريم المغيلي٠ جـ١ ٠ص٧ ٠

(٣) د/ عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣ – ١٥٩١م الشركة الوطنية للنشر٠ الجزائر٠ ص٣١ ٠

كل الحركات الجهادية التي أتت بعده[١]، ونظرا لإنجازاته الكبيرة فقد لقبه أهل تلك المنطقة بالإمام[٢] مما يدل على علو منزلته ورفعة مكانته.

اسمه ونسبه.

ذكر الإمام المغيلي اسمه ونسبه قائلاً بأنه: محمد بن عبدالكريم بن محمد بن عمر بن يخلف المغيلي التلمساني الأشعري[٣] المالكي[٤]،[٥].

---

(١) د/ خيرالدين شترة. الشيخ بن عبدالكريم المغيلي جـ١ . ص٨، أمينة أحمد يحى، الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا. الجزائر ٢٠١٤م. ص٧٤ – ص٩٠ .

(٢) د/ خيرالدين شترة. الشيخ بن عبدالكريم المغيلي .ص٨، حاج أحمد نور الدين. المنهج الدعوي.ص١٨٢ .

(٣) الأشعري هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وُلِدَ بالبصرة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م وقيل ٢٦٠هـ/٨٧٣م كان من المعتزلة ثم تحول إلى مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، توفي في ٣٢٤هـ/٩٣٥م وقيل ٣٣٠هـ/٩٤١م. انظر ترجمته كاملة عند: ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر ١٩٠٠م بيروت جـ٣ . ص٢٨٤ – ص٢٨٥ .

(٤) المالكي: ينسب إلى الإمام مالك بن أنس . صاحب المذهب. انظر ترجمته كاملة عند ابن خلكان. وفيات الأعيان. جـ٤ الطبعة الأولى ١٩٧١م. دار صادر بيروت ص١٣٥ – ص١٣٩ .

(٥) المغيلي: محمد بن عبدالكريم . شرح التبيان في علم البيان. تحقيق: أبو أزهر بلخير هانم. نشر: دار الكتب العلمية ٢٠١٠م بيروت. ص١٢٧ .

أمّا المصادر التي تناولته بالترجمة فبعضها حصر اسمه في: محمد بن عبدالكريم المغيلي[١]٠

وبعضها زاد اسم الجد إلى نسبته فهو: محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي[٢]٠

وهناك من المصادر من وصل نسبه إلى الرسول(ﷺ) فهو: محمد ابن عبدالكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحى ابن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالقوي بن العباس بن عطية بن مناد ابن السري بن قيس بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن

---

(١) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣٠، ابن القاضي٠ أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ت ٩٦٠هـ/١٠٢٥م٠ درة الحجال في أسماء الرجال٠ تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور٠ دار التراث ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م القاهرة٠ جـ٢ ٠ ص٢٨٥، المجذوب: عبدالكبير بن المجذوب الفاسي٠ موسوعة أعلام المغرب٠ تحقيق: د/ محمد حجي٠ دار الغرب الإسلامي ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م تونس جـ٢ ٠ ص٧٣٤ ، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف٠ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية٠ تحقيق: عبدالمجيد خيالي٠ دار الكتب العلمية٠ جـ١ الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م٠ بيروت٠ جـ١ ٠ ص٣٩٥ ٠

(٢) أحمد بابا التنبكتي ت٩٦٣هـ/١٠٣٦م نيل الابتهاج بتطريز الديباج تقديم د/ عبدالحميد عبدالله الهرامة ٠ دار الكاتب٠ ط الثانية ٢٠٠٠م الجماهيرية العربية الليبية٠ ص٥٧٦، التلمساني: أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم٠ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان٠ المطبعة الثعالبية ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م الجزائر٠ ص٢٥٣، الزركلي٠ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس٠ الأعلام٠ دار العلم للملايين٠ ٢٠٠٢م بيروت٠جـ٦ ٠ ص٢١٦

عبدالله بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن بن السيدة فاطمة بنت الرسول(ﷺ) وابن الإمام علي بن أبي طالب[١].

ميلاده.

وُلِدَ الإمام المغيلي بمدينة "مغيلة"[٢] فاكتسب لقب المغيلي نسبة لها أي من المكان وليس من القبيلة[٣] كما ذهب البعض[٤] إذ لا يتفق ذلك مع نسبه العربي والموصول إلى بني هاشم كما سبق ذكره.

أما تاريخ ولادته فلم تثبته المصادر مما فتح الباب أمام

---

(١) المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. تحقيق: الأستاذ/ عبدالقادر زبادية . الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ١٩٧٤م. الجزائر. ص١٤٩، مقدم مبروك. الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة. دار الغرب ٢٠٠٢م. الجزائر جـ١ . ص٤٩ .

(٢) مغيلة: مدينة صغيرة أسسها الرومان تقع على قمة الجبل المطل على مدينة فاس وتشتهر بأشجار الزيتون، والكتان. انظر: ليون الإفريقي: الحسن بن محمد الوزان الفاسي. وصف إفريقيا . ترجمة: محمد حجي وآخر. منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ط الثانية ١٩٨٣م. جـ١ . ص٢٩٢ .

(٣) قبيلة مغيلة من القبائل البربرية التي سكنت إفريقيا. انظر تفصيل ذلك: عند الإدريسي محمد بن محمد. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب. ط الأولى ١٤٠٩هـ. بيروت. جـ١ . ص٢٢٢ .

(٤) المغيلي. مختصران في الفرائض. تحقيق: محمد شايب شريف. دار ابن حزم ط الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م بيروت. من كلام المحقق. ص١٠ .

الاجتهادات، فقائل يرى بأن ولادته ترجع في حدود سنة٨٢٠هـ/١٤١٧م[١] وآخر يجتهد ويحصر ولادته في الفترة ما بين عامي ٨٤٤ – ٨٤٦هـ / ١٤٤٠ – ١٤٤٢م[٢]٠

وقد رجح الأستاذ أبو أزهر بلخير هانم أن تكون ولادته حوالي عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م٠ وقدّم على ذلك الأدلة التي استنتجها من اطلاعه على مؤلفاته فرجح عنده هذا التاريخ[٣]، وتابعه على ذلك الأستاذ/ مبروك مقدم ولنفس الأسباب[٤]٠

كنيته٠

كان يكنى بأبي عبدالله[٥]

شيوخه٠

تتلمذ الإمام المغيلي على العديد من العلماء والشيوخ غير أن المصادر لم تذكر لنا إلا القليل منهم وهم:-

---

(١) عبدالكبير المجذوب٠ موسوعة أعلام المغرب٠ جـ٢ ٠ ص٧٣٤ ٠

(٢) المغيلي٠ مختصران في الفرائض٠ ص١١

(٣) المغيلي٠ شرح التبيان في علم البيان٠ كلام المحقق٠ ص٢١ – ص٢٢

(٤) مقدم مبروك٠ الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة٠ دار الغرب للنشر والتوزيع٠ ط الأولى ٢٠٠٢م٠ ص٤٩ ٠

(٥) المغيلي٠ شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب مخطوط بجامعة الرياض رقم ٤٢٦٠٠ ف٣/٨٩٧ ٠ ص١، ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي٠ ت٩٦٠هـ/١٠٢٥م٠ درة الحجال ٠ جـ٢ ٠ ص٢٨٥ ٠

١- عبدالكريم المغيلي والد صاحب الترجمة فقد حفظ ابنه على يديه القرآن الكريم، وموطأ الإمام مالك، كما تلقى منه مبادئ علوم العربية[١].

٢- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (توفي٨٧٥هـ/١٤٧٠م) قاضي الجماعة بتلمسان وأحد الفقهاء المعدودين على المذهب المالكي[٢]. أخذ عنه الشيخ المغيلي أصول الفقه المالكي، والتفسير، والقراءات[٣].

٣- أبو العباس الوغليسي: يعد من أوائل مشايخ الإمام المغيلي الذين تربى عليهم في حداثته[٤].

٤- أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (٧٨٦-٨٧٥هـ/ ١٣٨٤-١٤٧٠م) أحد الأئمة العلام في الفقه والتفسير

---

(١) عبدالقادر باجي. الإمام المغيلي عصره وحياته. منشورات وزارة الشئون الدينية المغيلي. الإطار المعرفي والتعاون مع المكانية. مكتبة الرشاد. ط الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م الجزائر ص٢٢١ .

(٢) أحمد بابا التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٥٢، محمد بن محمد مخلوف. شجرة النور الزكية. جـ١ . ص٣٨٢

(٣) مبرك مقدم. الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة. دار الغرب وهران ٢٠٠٢م. الجزائر. ص٤٩ .

(٤) المرجع السابق. ص٥١ .

والحديث٠ قال عنه السخاوي: "كان إمامً علاّمة مصنفاً"[١]٠ اشتهر بالتصوف والزهد وله في ذلك مؤلفات عديدة تتلمذ عليه الإمام المغيلي، ولما رأى فيه الإمام الثعالبي الذكاء وأمارات النبوغ قربه إليه وزوجه ابنته مما يدل على مكانة المغيلي وحظوته عند شيخه الثعالبي ولهذا أعطاه قيادة الطريقة الصوفية القادرية وأمره بنشرها أينما حَلَّ وأقام[٢]٠

٥- أبو زكريا يحى بن بدير بن عتيق التدلسي (ت٨٧٧هـ/١٤٧٢م) قاضي توات وأحد العلماء الأفذاذ الذين تلقى عليهم الشيخ المغيلي[٣]٠

٦- أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) أحد العلماء البارزين الذين تتلمذ عليهم الشيخ المغيلي[٤]٠

---

(١) السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)٠ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٠ منشورات دار مكتبة للحياة (دون سنة طبع) بيروت٠ جـ٤ ٠ ص١٥٢ ٠

(٢) انظر ترجمته كاملة في: التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ جـ١ ٠ ص٢٥٧- ص٢٦٠، مخلوف٠ شجرة النور الزكية٠ جـ١ ٠ ص٣٨٢، أ/ مبروك مقدم٠ الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي٠ ص٢٧، حاج أحمد نور الدين٠ المنهج الدعوي٠ ص٢٨، ص٣٠ ٠

(٣) التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٦٣٧، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج٠ جـ٢ ٠ ص٢٧٦ ٠

(٤) التنبكتي٠ نيل الابتهاج ص٥٦٣-ص٥٧٢، مخلوف٠ شجرة النور الزكية٠جـ١ ٠ ص٣٨٤ – ص٣٨٥، الإمام المغيلي مختصران في الفرائض٠ من كلام٠ المحقق٠ ص١٧ ٠

٧- أبو علي منصور بن علي عثمان الزواوي أحد كبار علماء وفقهاء بجاية[١] ومن ذوي القوة والعصبية بالبلاد ولمكانته المرموقة شارك في كثير من الأحداث السياسية. لا يعرف له تاريخ وفاة غير أنه كان حياً في حدود (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)[٢]. رحل إليه الشيخ المغيلي فأخذ عنه العلم.

٨- أحمد بن إبراهيم البجائي اشتهر بالتفسير والفقه (ت٨٤٠هـ/١٤٣٤م) أخذ عنه الإمام المغيلي التفسير والفقه.

٩- أبوالفضل محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن التلمساني الشهير بابن الإمام (ت٨٤٥هـ/١٤٣٩م) أخذ عنه الإمام المغيلي العلم في التفسير والفقه[٣].

---

(١) بِجَاية: بالكسر، وتخفيف الجيم: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب وهي ذات موقع استراتيجي هام، وكانت قديماً ميناء ثم أصبحت مدينة.انظر: ياقوت الحموي. شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان. دار صادر ط الثانية ١٩٩٥م بيروت. جـ١ . ص٣٣٩ .

(٢) السخاوي:. الضوء اللامع. جـ١٠ .ص١٧١، التنبكتي.نيل الابتهاج ص٦١٣ .

(٣) ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي. درة المجال في أسماء الرجال. مكتبة دار التراث. تحقيق: د/ محمد الأحمدي أبوالنور. ط الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م القاهرة. جـ٢ . ص١٨٩، د/ أحمد الحمدي الفقيه المصلح. ص١٩ – ص٢٢ .

تلاميذه٠

مما لا شك فيه أن عالماً كبيراً بحجم وقامة الإمام المغيلي قد تتلمذ وتربى عليه جملة وافرة من الطلبة والدراسين وخصوصاً بمنطقة "توات" و"السودان الغربي" تلك المناطق التي تنقل بين أرجائها مدة طويلة معلماً وداعياً ومفتياً ومشاركاً في حياتها السياسية غير أن المصادر لم تذكر من هؤلاء الدراسين سوى القليل جداً[١] وهم:-

١- أَيْد أحمد:

هو: محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي٠ الشهير بـ(أَيْدَ أحمد) بهمزة مفتوحة ثم ياء ساكنة ثم دال مفتوحة ومعناه بلغة أهله "أبن"٠ كان فقيهاً عالماً، محدثاً، محصلاً لكثير من العلوم، رحل في طلب العلم فتتلمذ على مشاهير العلماء في مصر وغيرها٠ تتلمذ علي يد المغيلي في "تكدة"[٢] ثم عاد إلى بلاد السودان بعد أن مهر في العلوم فتولى القضاء بـ(كاتسينا)[٣] من بلاد السودان وتوفي بها في حدود (٩٣٦هـ/١٥٢٩م[٤]٠

---

(١) ابن مريم٠ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان٠ ص٢٥٦ ٠

(٢) تكدة: بلدة بشمال دولة النيجر حالياً٠ انظر: د/ عبدالله حمادي الإدريسي٠ الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والسقع السوداني٠ وزارة الثقافة ٢٠١١م٠ الجزائر٠ جـ١ ٠ ص٥٦ – ص٥٧ ٠

(٣) كاتسينا أوكشنه: تعد من أشهر ممالك الهوسا٠انظر: حسن الوزان وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ص١٧٣ – ص١٧٤ ٠

(٤) التنبكتي٠ نيل الابتهاج ص٥٨٧، كفاية المحتاج٠ جـ٢ ٠ص٢٢٢ – ص٢٢٣ ٠

٢- العاقب بن عبدالله الانصمني المسوفي التنبكتي من علماء أكدس "تكدة" تتلمذ على الإمام المغيلي، وعلى الإمام السيوطي وصفته المصادر بأنه: فقيه، نبيه، ذكي الفهم، حاد الذهن، وقّاد الخاطر، له مؤلفات فقهية كثيرة كان حياً في سنة ٩٥١هـ/١٥٤٣م[١].

٣- أبو عبدالله محمد بن عبدالجبار الفجيجي: عالم متصوف، فقيه أديب، شاعر أخذ التصوف عن المغيلي، كما أخذ عنه علوم الفقه، والحديث والتفسير والمنطق توفي عام ٩٥٦هـ/١٥٤٩م[٢].

٤- إبراهيم بن عبدالجبار الفجيجي تتلمذ على يد المغيلي فلما عاد إلى مسقط رأسه عمل بالقضاء والتدريس توفي ٩٥٤هـ/١٥٤٧م[٣].

٥- أحمد البكاي الكنتي[٤] الشنقيطي. لقب بالبكاي لكثرة بكائه. ويعد من كبار الصوفية،وممن تتلمذ على المغيلي(ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)[٥].

---

(١) التنبكتي. نيل الابتهاج ص٣٥٣، أبي القاسم محمد الحفناوي ابن الشيخ أبي القاسم الديس. تعريف الخلف برجال السلف. مطبعة فونتانة الشرقية ١٣٣٤هـ/١٩٠٦م الجزائر. ص١٩١ – ص١٩٢ .

(٢) ابن عسكر. دوحة الناشر. ص١٣٢، حاج أحمد نور الدين. المنهج الدعوي. ص٣١ .

(٣) أبو القاسم محمد الحفناوي. تعريف الخلف. جـ٢ . ص٣ – ص٤ .

(٤) الكنتي: نسبة إلى كنتة قبيلة عربية منتشرة في الصحراء الكبرى توجد فروع منها في "توات، وموريتانيا، ومالي، والنيجر. انظر: محمد شايب شريف محقق: مختصران في الفرائض للإمام المغيلي: هامش رقم٢ . ص٢٠ .

(٥) أبو عبدالله محمد البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرور. تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. ط الثانية١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. بيروت. ص٣٠ .

٦- عمر بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي٠ يعتبر الوارث الأول لعلم الإمام المغيلي فأخذ عنه علوم الحديث والفقه والسياسة الشرعية وغيرها من العلوم، كما أنه من أكثر التلاميذ تأثراً بشيخه فلم يفارقه حتى وفاته، ولعلمه ولإخلاصه آلت إليه رئاسة الطريقة القادرية بعد وفاة شيخه في ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، وتوفي الشيخ عمر في عام ٩٥٩هـ/١٥٥١م[١]٠

٧- الونشريسي: أحمد بن يحى الونشريسي التلمساني٠ الفقيه الكبير العالم العلامة حامل لواء المذهب المالكي في عصره حتى بلغت شهرته الآفاق فأطلق عليه حجة المغاربة على أهل الأقاليم، والحقيقة أن مؤلفات هذا العالم تدل على تبحره وسعة علمه٠ ويأتي في مقدمة مؤلفاته (المعيار المعرب) وهو من الموسوعات الفقهية الكبرى، التي جمع فيها الكثير من فتاوي المتقدمين والمتأخرين (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)[٢]٠

علمه ومؤلفاته:

أشاد العلماء المعاصرون للإمام المغيلي، والذين أتوا من بعدهم بعلمه ومكانته العلمية وبتقواه، وصلاحه، وجرأته، وثباته على الحق فلا يخاف في الله لومة لائم٠ يرسخ ذلك ما قيل فيه بأنه: من كبار العلماء، وأفاضل الأتقياء[٣] وبأنه: الرجل الصالح[٤]، وبأنه: خاتمة المحققين،

(١) حاج أحمد نور الدين٠ المنهج الدعوي٠ ص٣١ ٠
(٢) التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص١٣٥-ص١٣٦، ابن عسكر دوحة الناشر ص٤٧ ٠
(٣) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص٨٣٠ ٠
(٤) ابن القاضي المكناسي٠ درة المجال٠ جـ٢ ٠ ص٢٨٥ ٠

الإمام العالم العلّامة، المحقق الفهّامة، القدوة الصالح، السني، الحبر، أحد أذكياء العالم، وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم.....[(١)] .

تلك كانت مكانة الرجل العلمية التي حاز ونال بها الإعجاب والتقدير في عصره وإلى الآن، ولا يزال تراثه العلمي وأفكاره تمثل مدرسة روحية يعيش عليها سكان غرب إفريقيا حتى اليوم[(٢)] .

وعلى الرغم من كثرة أسفار الإمام وتنقلاته في البلاد واشتغاله بأمور التدريس والدعوة، والفتوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أقول رغم كل ذلك لم يمتنع عن الكتابة والتأليف فقد صنف في كل المجالات في التفسير، والفقه، والحديث، والعقيدة، والبلاغة، والمواريث، والمنطق، والتصوف، والفتوي، والسياسة الشرعية، وهو مما يدل على سعة علمه، وثراء ثقافته، وأتناول بالذكر أسماء بعض تلك المؤلفات وهي[(٣)]:

---

(١) التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٧٦، ابن مريم. البستان. ص٢٥٣، الحفناوي تعريف الخلف. جـ١ ص١٦٦ – ص١٧٠، مخلوف. شجرة النور الزكية. جـ١ . ص٣٩٥ .

(٢) مبروك مقدم. الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي. ص٣٢ .

(٣) انظر لحصر مؤلفاته في: نيل الابتهاج. ص٥٧٦ – ص٥٧٧، البستان. ص٢٥٣، تعريف الخلف جـ١ . ص١٦٦ – ص١٧٠، محمد شايب شريف. مختصران في الفرائض. ص٢١ – ص٤٨، د/ أحمد أبا الصافي جعفري. المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية. منشورات وزارة الشئون الدينية والأوقاف ٢٠١٥م. الجزائر.

أولا: في الفقه:

١- إفهام الأنجال أحكام الآجال٠ ٢- إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل٠

٣- مغني النبيل٠ ٤- مفتاح الكنوز٠

٥- مختصران في الفرائض "المواريث" ٠ ٦- نوازل الفتاوي٠

ثانيا: في اللغة:

٦- مقدمة في العربية٠

ثالثا: السياسة الشرعية والحسبة:

٧- "أجوبة الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا"٠

٨- "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"٠

٩- "جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام"٠

١٠- "الوصية" رسالة فقهية تختص بعمل الحسبة٠

١١- "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"(المنوطة في البحث)٠

رابعا: التصوف:

١٢- "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"٠

خامسا: المنطق:

١٣- مقدمة في المنطق٠ "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب"٠

سادسا: البلاغة:

١٤- التبيان في علم البيان٠ ١٧- شرح التبيان في علم البيان٠

سابعا: الفتاوى:

١٨- نوازل المغيلي ٠ ١٩- نوازل الفتاوى٠

أكتفي بذلك وأنوه إلى أن الأستاذ/ محمد شايب شريف قد عَدَّ للإمام المغيلي أكثر من أربعين مؤلفاً ٠ في شتى العلوم والمعارف[١] ٠

وفاته:

اتفقت المصادر على أن الإمام المغيلي توفي بـ"توات" سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[٢]، وقد شذ في ذلك ابن القاضي المكناسي[٣]؛ فذكر أن تاريخ وفاته سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م وهو خطأ منه ويبدو أنه أراد من هذا التاريخ ميلاده وليست وفاته لأن هذا التاريخ قد رجحه البعض بأنه تاريخ ميلاده[٤] فضلاً عن أن أنشطة المغيلي بدأت بعد ذلك بكثير ٠

---

(١) يقول أ/ محمد شايب: أن ما عثر عليه من مؤلفات المغيلي قليل جداً بالنسبة لما ذكرته المصادر، كما أحصى ما تيسر له من مؤلفاته مرقمة ومبيناً المطبوع منها والمخطوط فأرجع إليه ٠ مختصران في الفرائض للمغيلي ٠ ص٢١ – ص٤٨ ٠

(٢) التنبكتي: نيل الابتهاج ٠ ص٥٧٧، ابن مريم البستان ٠ ص٢٥٥، الزركلي خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ٠ الأعلام ٠ دار العلم للملايين ٠ ط الخامسة ٢٠٠٢م ٠ جـ٦ ٠ ص٢١٦ ٠

(٣) درة المجال ٠ جـ٢ ٠ ص٢٨٥ ٠

(٤) المجذوب ٠ موسوعة أعلام المغرب ٠ جـ٢ ٠ ص٧٣٤ ٠

المبحث الثاني

نشاط اليهود بإقليم توات

قبل الحديث عن نشاط اليهود بإقليم توات لا بد من إلقاء الضوء حول أهمية هذا الإقليم وتركيبته السكانية٠

أهمية إقليم توات:

يشكل هذا الإقليم المجموعة الأكبر لواحات الصحراء الجزائرية٠ فهو يقع بالجنوب الغربي من الجزائر، ويبعد عن عاصمتها بما يزيد عن (١٥٠٠كم) جنوباً[١] ويعرف في عصرنا الحاضر بولاية (أدرار)[٢]٠

وتكمن أهمية هذا الإقليم في موقعه الاستراتيجي إذ كان يمثل همزة وصل ونقطة عبور لمعظم أجزاء قارة إفريقيا وبالأخص شمال القارة وجنوبها إذ ترتبط به أهم الطرق التجارية التي من أشهرها[٣]:

١- طريق السودان الغربي الذي يربط المنطقة بمالي وموريتانيا٠

٢- طريق سلجماسة وهو الذي يربط المنطقة بالمغرب الأقصى٠

٣- طريق غدامس وهو يتجه إلى الشرق فيصل إلى ليبيا ومصر٠

---

(١) محمد جوتيه٠ توات الموقع الجغرافي الأهمية التاريخية٠ ٢٠٠٩م الجزائر٠ ص٢٤، د/ أحمد أبا الصافي الجعفري٠ العمارة الإسلامية في إقليم توات٠ ضمن أبحاث في التراث منشورات الحضارة٠ ط الأولى ٢٠٠٠م٠ الجزائر٠ ص٥٨٤ ٠

(٢) أدرار: كلمة بربرية تعني الجبل٠ انظر: اسماعيل العربي٠ الصحراء الكبرى وشواطئها٠ المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٣م٠ الجزائر٠ ص١٨٨ ٠

(٣) د/ أحمد أبا الصافي الجعفري٠ مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين٠ ص٣٩٣ – ص٣٩٤ ٠

٤- طريق الطوارق وهو الذي يصل إلى الجنوب.

٥- طريق الشمال وهو يربط المنطقة بالشمال المغربي كتلمسان، والجزائر، ووهران، وبجاية.

هذه الطرق التي تقاطعت مع هذه المنطقة قد أضفت عليها أهمية اقتصادية وتجارية قلما نجد لها مثيلا وهو مما أدى إلى ازدياد الهجرة إليها طمعاً في الثراء والاستفادة المادية.

وأمّا عن طبيعة هذا الإقليم فهو إقليم صحراوي ذات تربة سبخة كثيرة الرمال والرياح، ولهذا فلا يزكو بأرضه سوى التمور والأعناب، والتي تعد عماد قوت سكانه وما يفيض منه عن حاجتهم يصدرونه إلى خارج الإقليم، ويستقدمون حاجتهم من الحبوب والزيوت وخلافه من بلاد المغرب[١].

ولقد تميزت تلك المنطقة بظاهرة فريدة في استخراج المياه الجوفية عُرِفَت باسم "الفقاقير" – وهي ما تشبه عندن بمصر الآبار الجوفية ولنفس الغرض – التي حازت دهشة وإعجاب ابن خلدون التي تحدث عنها ووصفها[٢] وقد أمدت تلك الفقاقير حاجة السكان من المياه وجعلت من المكان واحة في الصحراء.

---

(١) ابن بطوطة: محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطبخي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م). تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٤٧هـ . جـ٤ . ص٢٧٧ – ص٢٧٩ .

(٢) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد وليّ الدين الحضرمي الأشبيلي. (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة دار الفكر ط الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

التركيبة السكانية:

يعد البربر هم أول من استوطن منطقة توات وبالأخص قبيلتي زناتة وصنهاجة البربريتين، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية وفي مقدمتهم ابن خلدون الذي قال: "قصور الصحراء التي اختطتها زناتة"(١) وفي أكثر من موضع ذكر بأن زناتة وصنهاجة هما من استوطنا منطقة توات(٢) وقد أكد ذلك غيره من المؤرخين(٣) وهو مما يعطي دلالة قاطعة عن أن البربر هم السكان الأصليين لتلك المنطقة وذلك ما قبل الإسلام٠

أمّا العنصر الثاني من السكان فهم العرب الذين وفدوا على المنطقة مع الفتح الإسلامي للبلاد وبعده فاستوطنوا مع البربر(٤) وكان دافعهم هو التجارة من جانب ونشر الدين الإسلامي بين الأفارقة من جانب آخر٠

ولا خفاء بأن الزنوج كانوا من ضمن التركيبة السكانية٠

وأمّا اليهود فهم كانوا ممن استوطن تلك المنطقة أيضا غير أن المصادر قد أغفلت زمن تواجدهم، ولم يشذ عن ذلك سوى وثائق

---

(١) ابن خلدون ديوان المبتدأ٠ جـ٦ ٠ ص٧٧ ٠

(٢) المصدر السابق٠ جـ٤ ٠ ص١٧، جـ٦ ٠ ص٧٨ ٠

(٣) الناصري٠ الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري٠ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى٠ تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري٠ دار الكتاب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م الدار البيضاء٠ جـ٣ ٠ ص١٧٣، عبدالعزيز القشتالي٠ مناهل الصفا في ذكر موالينا الشرفا٠ تحقيق: عبدالكريم كريم٠ وزارة الأوقاف ١٩٧٢م الرباط٠ ص٧٣ ٠

(٤) ابن خلدون٠ ديوان المبتدأ٠ جـ٦ ٠ ص٧٨، ص٨٠ ٠

الجنيزة[١]،[٢] التي أشارت إلى وجود جماعات يهودية بالمنطقة في القرون الأولى من الفتح الإسلامي[٣] إلا أنهم كانوا يمثلون قلة قليلة تعمل بالتجارة ثم أخذت أعدادهم فيما بعد بالزيادة المستمرة مدفوعين إلى ذلك بالهجرة تبعاً لعوامل سياسية واقتصادية وأمنية.

وقد تمثلت أكبر الهجرات السياسية لليهود تلك التي كانت من الغرب الأوروبي الذي أصدر حكامه الكثير من القرارات التي تقضي بتهجير اليهود وعدم تواجدهم في قارة أوروبا بدءاً من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[٤] وحتى القرن العاشر الهجري/ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إذ أصدر الملك فرديناند ملك أسبانيا والبرتغال (١٤٥٢-١٥١٦م/٨٨٥-٩٢٢هـ) قراراً في سنة ١٤٩٢م/٨٩٨هـ يقضي

---

(١) الجنيزة: مشتقة من الجذر جنز بمعنى: ستر وأخفى. انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م).دار صادر.ط الثالثة ١٤١٤هـ بيروت.جـ٥ . ص٣٢٤ .

(٢) شملت وثائق الجنيزة وثائق نقود للعصر الفاطمي والأيوبي وجزء من المملوكي، وهي وثائق غير رسمية غطت الفترة ما بين (٣٥٨-٦٩٤هـ/٩٦٨-١٢٩٤م). انظر: د/ فاطمة بوعمامة. اليهود في المغرب الإسلامي. مؤسسة كنوز الحكمة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. الجزائر. ص١٩٧ – ص١٩٨ .

(٣) المرجع السابق. ص٢٢١ .

(٤) المرجع السابق. ص٤٨ – ص٤٩ .

بطرد اليهود نهائياً من شبه جزيرة إيبريا[١] على الرغم من قيام اليهود بتمويل حرب الاسترداد التي أنهت الحكم الإسلامي في البلاد[٢]٠

وبالرغم أيضا من حياة الأمن والسلام التي عاشها اليهود في ظل دولة الإسلام بالأندلس غير أنهم خانوهم وتلك هي طبائعهم التي لم ولن تتغير وتمتلأ المصادر بالشواهد المؤيدة لذلك[٣] وعلى الرغم من كل ذلك فقد استقبلت بلاد المغرب الإسلامي اليهود المطرودين فاستوطنوا بها وانتقل الكثير منهم إلى منطقة توات٠

كما شهدت بعض بلاد المغرب اضطرابات سياسية كانت موجهة ضد اليهود الذين كانوا هم السبب فيها٠ فعلى الرغم من عيشة التسامح والعدل والحرية التي كانوا يحيونها، وكان لهم ما يشبه الاستقلال الداخلي فكانت لهم محاكمهم الخاصة بهم[٤] وعلى الرغم من كل ذلك فقد غلبت عليهم طباعهم الخبيثة وخصالهم الدنيئة[٥] فظهرت في كل تصرفاتهم الموسومة بالعدائية تجاه المسلمين وذلك إذا ما أسندت إليهم ولاية أمور المسلمين

---

(١) د/ نجوى طوبال٠ طائفة اليهود بمجتمع الجزائر٠ دار الشروق ٢٠٠٨م٠ الجزائر٠ ص٦٥ ٠

(٢) د/ فاطمة بوعمامة٠ اليهود في المغرب الإسلامي٠ ص٤٩ ٠

(٣) ابن خلدون٠ ديوان المبتدأ٠ جـ٧ ٠ ص٣٠٧، ص٣١٦ ٠

(٤) الونشريسي: أب العباس أحمد بن يحى ت٩١٤هـ/١٥٠٨م المعيار المعرب والجامع المغرب٠ النشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية٠ ت: د/ محمد حجي ١٤١٠هـ/١٩٨١م٠ الرباط٠ جـ١٠ ٠ ص٥٦، ص١٢٩ ٠

(٥) ابن خلدون٠ ديوان المبتدأ٠ جـ١ ٠ص٤٤٣، جـ٧ ٠ ص٣١٦، د/ فاطمة بوعمامة٠ اليهود في المغرب الإسلامي٠ ص١٥٢- ص١٥٥ ٠

فتظهر تلك الروح فينكلون بالمسلمين ويمكرون بهم ويلحقونهم بالأذى، وهذا ما قد وضح جلياً في عهد السلطان عبدالحق بن أبي سعيد المريني (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٥م) الذي أسند الولاية والحجاية إلى اثنين من اليهود هما: هارون في الأولى، شاويل في الثانية فما كان منهما إلا أن أساءوا السيرة في الرعية وأذلوهم وأرهقوهم بكثرة الضرائب وزاد أذاهم على الفقهاء وعلماء الدين مما أدى إلى اشتعال الثورات بالبلاد تم على إثرها قتل السلطان وزوال دولة بني مرين وقتل اليهوديان وامتدت الثورة حتى شملت كل اليهود[١] فلجأ كثير منهم إلى الهجرة إلى مناطق أخرى في مقدمتها إقليم توات.

وعن الأهمية الاقتصادية التي كان يتمتع بها الإقليم فهو الشيء الذي لم يكن يغفله اليهود وهو من العوامل الرئيسة التي دفعتهم إلى الهجرة إليه وتوطنهم به.

وأما العوامل الأمنية المتوفرة فقد كانت المنطقة بعيدة تماما عن سلطة الدول في شمال المغرب في هذا العصر بل كانت السلطة به في يد شيوخ القبائل وهو ما كان يرغبه اليهود لعدم وجود قوانين ونظم يخضعون لها، هذا فضلا عما كان يتميز به أهل الإقليم من وداعة وطيبة وحسن خلق

(١) ابن القاضي المكناسي. درة المجال. جـ٢ . ص١٥٦ – ص١٥٧، المجذوب. موسوعة أعلام المغرب. جـ٢ . ص٧٧٤ .

وكرم ضيافة وإكرام للغرباء وذلك بشهادة المؤرخين والرحالة الذين أثنوا على أهلها[١]٠

لقد أدرك اليهود كل ذلك فقصدوا المنطقة بأعداد كبيرة واستقروا بها كما تمركزوا بالمدن الواقعة على الطرق المؤدية إليها[٢]، ولما كان غالبيتهم يحترف التجارة لذا تمكنوا من السيطرة على الحياة الاقتصادية فاكتسبوا بذلك قوة ومنعة وصلت إلى حد السيطرة الكاملة على بعض القصور[٣] كقصر تمنطيط، وتيطاف وغيره[٤] وامتدت هيمنتهم ونفوذهم على كل إقليم توات مستغلين في ذلك أموالهم وثرائهم فتدخلوا في جميع شئونه السياسية والقضائية لتحقيق مآربهم وخدمة مصالحهم٠

(١) محمد الطيب بن عبدالرحيم٠ القول البسيط في أخبار تمنطيط٠ تحقيق: فرج محمود فرج٠ المؤسسة الوطنية للكتاب٠ ١٩٧٧م٠ الجزائر٠ ص٣٣، الوزان وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص١٣٦ ٠

(٢) الوزان وصف إفريقيا٠ ص١١٩، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠ ٠

(٣) القصر هو: عبارة عن تجمع سكاني يحاط بسور خارجي فردي، وأحيانا مزدوج ويسمى هذا التجمع عامة "القصر"٠ انظر: د/ أحمد أبا الصافي٠ العمارة الإسلامية في إقليم توات٠ ص٥٨٥ ٠

(٤) قومي محمد٠ دور الطائفة اليهودية بتوات٠ رسالة ماجستير٠ كلية العلوم الاجتماعية٠ جامعة وهران ٢٠١٤م٠ الجزائر٠ ص٨٤ – ص٨٥ ٠

➢ أنشطة اليهود

أولاً: نشاطهم الاقتصادي:

١ـ التجارة:

تأتي في مقدمة أنشطة اليهود الاقتصادية التجارة، فهي من السمات الرئيسة والعلامات الأساسية والبارزة التي ميزت اليهود عن غيرهم من الشعوب منذ العصور الغابرة، وحتى يومنا هذا٠

لقد تمكن اليهود من إحكام سيطرتهم التجارية على إقليم توات بخاصة، والسودان الغربي والشمال الإفريقي بعامة في الفترة الممتدة من القرن(٧ – ١٠الهجري /١٤–١٥الميلادي)، وكان ذلك بسبب التزامهم في هذا المجال بمنهجية منظمة ومحكمة أدت بهم في نهاية الأمر إلى إمساكهم لذمام الاقتصاد وإحكام قبضتهم عليه بتلك المنطقة، ويمكنك إيجاز تلك المنهجية في نقاط عدة:

أ- تمركز اليهود بالمدن الساحلية للشمال الإفريقي بكثافة كبيرة ففي تلمسان وحدها كان يعيش ما يربو على خمسمائة أسرة من اليهود[١] كما تواجدوا في المدن الساحلية الأخرى في برقة وطرابلس وتونس وبجاية وفاس ومراكش وغيرها من المدن والموانئ الساحلية[٢]

---

(١) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص٢٠

(٢) مؤلف مراكشي مجهول توفي في القرن السادس الهجري٠ الاستبصار في عجائب الأمصار٠ دار الشئون الثقافية ١٩٨٦م بغداد٠ ص١٨٧، ص٢٠٢، ياقوت الحموي٠ معجم البلدان٠ جـ٢ ٠ ص٤٥١، جـ٣ ٠ ص١٨٢، ابن خلدون٠ ديوان المبتدأ٠ جـ٦ ٠ ص٤٢١، جـ٧، ص٢٩، ص١٢٩، ص٢٠٧، الحميري الإستقصا٠ جـ٣ ٠ ص١٠٠، جـ٦ ٠ ص٧٨، جـ٧ ٠ ص٦٤، الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص٣٠، ص٥٩

فتمكنوا بذلك من احتكار التجارة الخارجية التي كانت تمر عبر تلك الموانئ إلى دول أوروبا ودول العالم المختلفة، وقد زاد من احتكارهم لتلك التجارة تحكمهم في كل الممارسات التجارية[١]

ب- كما تمركز اليهود أيضا بالجنوب الصحراوي فاستوطنوا المدن والقرى الواقعة على طرق القوافل التجارية؛ وذلك لأهميتها الاقتصادية والتجارية مثل "غدامس"[٢] إحدى القواعد الصحراوية التجارية الكبرى، و"سجلماسة"[٣] أكبر الأسواق في تجارة الذهب، و"درعة"[٤]، وقصور وقرى "توات" وهي المنطقة التي تأتي في الصدارة من حيث الأهمية التجارية نظراً لما تتمتع به من موقع استراتيجي هام إذ هي بمثابة همزة الوصل بين جميع أجزاء القارة فتلتقي بها جميع الطرق الرئيسة التي تربط بين أجزاء القارة، ولهذا كانت الممر الأهم والرئيس للقوافل التجارية بالقارة الإفريقية، وبالتالي كانت من أكبر وأضخم الأسواق

---

(١) فاطمة بو عمامة٠ اليهود في المغرب الإسلامي٠ ص٢٠٣ ٠

(٢) غدامس: بفتح أوله، ويضم، وهي: مدينة ضارية في بلاد السودان مشهورة بدباغة الجلود وأهلها بربر مسلمون، وتخرج منها القوافل التجارية٠ انظر: ياقوت٠ معجم البلدان٠ جـ٤ ٠ ص١٨٧، الحميري٠ الروض المعطار٠ ص٤٢٧ ٠

(٣) سجلماسة: مدينة في الجنوب الصحراوي على طريق القوافل إلى "غانة"٠ انظر: ياقوت: معجم البلدان٠ جـ٣ ٠ ص١٩٢، ابن شمائل٠ عبدالمؤمن بن عبدالحق القطعي البغدادي (ت٧٣٩هـ)٠ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع٠ دار الجيل٠ ط الأولى ١٤١٢هـ٠ بيروت٠ جـ٢ ٠ ص٦٩٤ ٠

(٤) درعة: مدينة صغيرة بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، أكثر تجارها اليهود٠ انظر: ياقوت٠ معجم البلدان٠ جـ٢ ٠ ص٤٥١ ٠

التجارية ولأجل ذلك فقد شهدت حضوراً وتواجداً كثيفاً من جانب اليهود فاستوطنوا قصورها وقراها.

ومما يدل على أهمية "توات" في التجارة في تلك الفترة ما ذكره ابن خلدون عن واحدة من قصورها وهي "واركلان"[(١)] أنه كان يخرج منها في العام الواحد اثني عشر ألف قافلة إلى "مالي"[(٢)] حيث منابع الذهب وإنتاجه، هذا من مدينة واحدة فما بالنا بباقي المدن وهذا مما يدل على الحجم الكبير للتجارة بتلك المنطقة والتي كان ذمامها بأيدي اليهود.

كما سكن اليهود منطقة "مالي" و"غانة" و"تمبكت" وغيرها من البلاد في الداخل السوداني حيث مناطق إنتاج الذهب وتصدير العبيد[(٣)].

وخلاصة القول: أن اليهود قد تواجدوا بغرب إفريقية مكونين سلسلة من المستوطنات في المناطق ذات الأهمية الاقتصادية، وأنها كانت موزعة ما بين المحيط الأطلنطي غرباً حتى الصحراء الليبية شرقاً، وأن هذه الجماعات اليهودية كانت هي المسيطرة والمشرفة على النشاط الاقتصادي والتجاري بهذه المنطقة.

جـ – ارتباط يهود المنطقة بروابط وثيقة مع غيرهم من الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم عن طريق اتصالهم بالمراكز التلمودية

---

(١) "وراكلان": أو "ورقلة" أو " وارجلان" أسماء لبلدة واحدة تقع في الصحراء على أطراف إفريقية. انظر: مجهول: الاستبصار. ص٢٤٤، الحميري. الروض المعطار. ص٦٠٠ .

(٢) ابن خلدون. ديوان المبتدأ. جـ٧ . ص٧٠ .

(٣) ياقوت. معجم البلدان. جـ٢ . ص١٢، الحميري. الروض المعطار. ص٤٢٥ – ص٤٢٦ .

في مصر، والشام، وشمال المغرب، وأوروبا، وآسيا، وعرض ما يستجد لديهم من مشكلات اقتصادية، وتجارية، وسياسية، ودينية فيكون العمل على تقديم أفضل الحلول لما يعتريهم من مشكلات[١] ولا يخفى الهدف من وراء ذلك ألا وهو مصلحتهم وفي مقدمتها الهيمنة الاقتصادية والسياسية على المنطقة٠

د- كما أسهم علماء الجغرافيا اليهود بتمكين أبناء ملتهم من السيطرة الاقتصادية بما عملوه من وضع الخرائط الجغرافية للمنطقة وتوضيح الطرق التجارية والمراكز الاقتصادية في المناطق الصحراوية والبلاد السودانية[٢] وما تشتهر به كل مدينة وبالمختصر كان هذا العمل بمثابة دليل به كل ما يتصل بالمنطقة من معلومات وضعوها تحت أيدي إخوانهم من التجار اليهود، وتلك من أخطر وأهم الأعمال في سبيل السيطرة على المنطقة، ولقد استعان الأوربيون بهذه الأعمال في احتلال تلك المنطقة فيما بعد والاستيلاء على خيراتها ونهب ثرواتها وتغيير أوضاعها السياسية والثقافية والاقتصادية٠

هـ - طيبة الأفارقة وجهلهم بالعمل التجاري وهو ما لاحظه العمري فقال عنهم: "بأنهم كانوا في غاية سلامة الصدر والطمأنينة يجوّز عليهم

---

(١) د/ فاطمة بوعمامة٠ اليهود في المغرب٠ ص٢٢١ ٠

(٢) المرجع السابق٠ ص٢٣١ – ص٢٣٢ ٠

مهما جوز عليهم ويأخذون كل قول يقال لهم بالقبول والصدق"[١] وهو نفس ما عبّر عنه الوزان بقوله: "إن الأفارقة لسذاجتهم يصدقون كل شيء مهما كان مستحيلا بالإضافة إلى إنهم في غاية التعنت والجهل بالتجارة[٢]، تلك الأخلاق التي كانوا عليها قد مكنت اليهود من خداعهم والمكر بهم والاستيلاء على ثرواتهم وخيرات بلادهم.

نستنتج من ذلك بأن اليهود قد سيطروا على التجارة الخارجية والداخلية للمنطقة وبالتالي حازوا ثروات المنطقة وذلك لأنهم كانوا يعملون وفق آليات اقتصادية ومعلوماتية وبشرية محكمة كتمركزهم على طول الطرق التي تربط بين منافذ التوزيع بالشمال الإفريقي وبالداخل السوداني، ووحدة تنظيماتهم الاجتماعية وعملهم الجماعي تلك هي أهم آلياتهم في السيطرة الاقتصادية، أضف إلى ذلك طيبة الأفارقة ووثوقهم بهم وانخداعهم بمكرهم وخبتهم مما سهل لهم مهمتهم.

الصادرات والواردات:

أعني السلع الواردة إلى "توات" والصادرة منها إضافة إلى العابرة من الشمال إلى الجنوب من خلالها.

---

(١) العمري. شهاب الدين أحمد بن يحى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت٧٤٩هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. الناشر: المجمع الثقافي. ط/ الأولى ١٤٢٣هـ. أبوظبي. جـ٤ . ص١٢٤ – ص١٢٥ .

(٢) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص٨٧ .

السلع الصادرة:

من أهم السلع الصادرة الذهب الذي كان يأتي من غانة التي كانت تعرف ببلاد التبر وإليها ينسب الذهب الخالص(١) ويعد الذهب الصادر عنها من أجود وأحسن أنواع الذهب في العالم لذا كان الطلب عليه زائداً(٢) وتعد غانة من أولى المناطق في العالم وقتئذ إنتاجاً للذهب ففي القرن ٨هـ/١٤م كان إنتاجها من هذا المعدن النفيس يتجاوز التسعة أطنان سنوياً يصدر منه إلى الخارج ما بين الخمسة إلى ستة أطنان تغطي أوروبا احتياجاتها منه(٣).

ومن السلع الصادرة أيضا والتي لاقت رواجاً كبيراً تجارة الرقيق "العبيد"(٤) ومن الصادرات أيضا الملح، والعاج، وريش النعام، والصمغ، والبخور، والقرنفل، والفلفل الأسود، والجلود، والشمع٠

السلع الواردة:

وهي السلع التي كانت تفد إلى الإقليم من الشمال نحو أسواق الصحراء منها: المنسوجات بأنواعها، والأسلحة المختلفة من دروع، وسيوف، وخناجر، ولوازم الخيل، والنحاس، والخيل(٥) والودع الذي كان يصدر إليهم من بلاد فارس ويستخدم كبديل للعملة لشراء الأشياء

---

(١) ياقوت: معجم البلدان٠ جـ ٢ ٠ ص١٢ ٠

(٢) مجهول٠ الاستبصار٠ ص٢٢١ ٠

(٣) د/ فاطمة بوعمامة٠ اليهود في المغرب٠ ص٢٣٠ ٠

(٤) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص١٦٩، ص١٧٦ ٠

(٥) الوزان٠ جـ٢ ٠ ص١٦٣ – ص١٦٦ ٠

البسيطة[١] بالإضافة إلى المشغولات الذهبية، والأصباغ، والعطور، والأواني المنزلية، والزيوت، والأدوات الزجاجية والحديدية[٢].

المعاملات التجارية:

لقد احتكر اليهود التجارة التواتية فكانوا هم الممول الرئيس لسكان المنطقة لكل ما يلزمهم، ولكن بالكيفية التي أرادوها وبالأسعار التي يحددونها.

أضف إلى ذلك أن اليهود كانوا يفرقون في تعاملاتهم التجارية حسب الديانة فالتجارة بين اليهودي واليهودي ليست كالتجارة بين اليهودي وأتباع الديانات الأخرى وبالأخص المسلمين امتثالا لشريعتهم التي تحض على العنصرية فلقد ورد بالتلمود[٣] "يسمح بغش أممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه"[٤].

ولقد طبقت تلك التعاليم من جانب اليهود بأرض الواقع فكانوا يبتاعون الناس أشياءهم بأبخس الأثمان ويبيعوهم بأفدحها فعلى سبيل

---

(١) الوزان. وصف إفريقيا. جـ٢ . ص١٦٧ . ومواضع كثيرة متفرقة.

(٢) الحميري. الروض المعطار. ص٤٦ . د/ عبدالقادر زبادية. الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ص٣٢ – ص٣٥ .

(٣) التلمود: من أهم الكتب المقدسة عند اليهود، وهو بتعليم ودراسة التوراة أو دراسة الشريعة اليهودية شرحاً وتفصيلاً شفهياً. انظر: د/ فاطمة بوعمامة. اليهود في المغرب. ص٧٩ .

(٤) نقلاً عن المرجع السابق. ص١٥٩ .

المثال كان الحصان الذي تكون قيمته عشرة مثاقيل يباع من أربعين إلى خمسين مثقال والسيف الذي ثمنه ثلث مثقال بأوروبا يباع بتوات وأرض السودان بأربعة مثاقيل وكذا العطور التي تساوي قيمتها مثقال ونصف تباع من ثمانين إلى مائة مثقال[١] وهكذا في جميع السلع تشترى بالأبخس وتباع بباهظ الأثمان هذا في حالة البيع بالنقد ولا يميل إليه التاجر الذي كان يفضل نظام المقايضة عليه لتكون الأرباح مضاعفة فإذا ما أراد البائع "بيعها نقداً كان عليهم أن يخفضوا الثمن كثيراً وتؤدى لهم القيمة حينئذ ذهباً غير مسكوك"[٢].

ولقد جنى اليهود من وراء ذلك أرباحاً طائلة حتى فاقت ثرواتهم الحكام[٣].

التعامل بالربا (التجارة المالية):

لقد اشتغل اليهود في المجتمع التواتي وكل المجتمعات بالربا وإعطاء القروض بفوائد زاعمين بأن ذلك مباح لهم في شريعتهم المحرفة المزيفة فجاء في توراتهم المحرفة: "لأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يبارك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأراضي التي أنت داخل إليها لتمتلكها" وبيّن تلمودهم ذلك فجاء فيه: "إذا أردت أن تقتل الأجنبي بغير أن تثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا"[٤].

---

(١) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص١٧٠، ص٢٨٣ ٠

(٢) المصدر السابق٠ جـ١ ٠ ص١٧٧ ٠

(٣) المصدر السابق٠ جـ١ ٠ ص١٧٦، ص١٨٣ ٠

(٤) نقلاً د/ فاطمة بو عمامة٠ اليهود في المغرب٠ ص٢٠٥ ٠

وهذا المجال الربوي نشط فيه اليهود نشاطاً ملحوظاً فكانوا يقرضون الناس بدءًا من الحكام إلى المحكومين مستغلين حاجتهم إلى المال ويفرضون عليهم فائدة لا تقل بأي حال من الأحوال عن (٢٥٠%)[١] مما أوقع الكثير تحت رحمتهم والديون ولا رحمة لديهم.

المهن الأخرى:

لقد مارس اليهود جميع الحرف والمهن المختلفة في المجتمع التواتي عدا الزراعة التي لا توجد نصوص تدل على امتهانهم لها.

فلقد مارس اليهود حرفة الخياطة، والصباغة، والحدادة، وصناعة الجلود، والسجاد، والجزارة، والفخار، وصناعة الصابون، والبناء[٢] وغيرها من الحرف.

ومن الحرف الهامة والخطيرة ذات الشأن الاقتصادي بعد التجارة هي مهنة الصائغين الذين يعنون بتشكيل المعادن النفيسة من الذهب والفضة، وهذه المهنة كانت حكراً على اليهود دون غيرهم "فلا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ"[٣].

ولقد تركز أصحاب هذه المهنة بالمناطق القريبة من إنتاج الذهب كمنطقة "توات" التي كان يوجد بمدينة واحدة من مدنها وهي "تمنطيط" أكثر من (٣٦٠) صائغاً[٤]، كما توطنوا بالقرى والمدن الواقعة على طريق

---

(١)العمري. مسالك الأبصار. جـ٤ . ص١٢٢ .

(٢) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص٩٨، ص١٠٥ . ومواضع أخرى متفرقة.، الحميري. الروض المعطار. ص٣٠٧ .

(٣) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص٢٨٣ .

(٤) ابن عبدالرحيم. القول البسيط. ص٣٦ .

القوافل التجارية لكثرة ما عند أصحابها من معدن الذهب[١] وهؤلاء كانوا يعيدون تشكيل ما لديهم من معدني الذهب والفضة وبيعه بالأسواق الداخلية والخارجية٠

لكن أخطر ما في هذه المهنة أن أصحابها كان إليهم عملية "سك العملة" الذهبية منها والفضية"[٢] وهؤلاء كانوا يعمدون إلى تزييفها[٣] وذلك بنقص وزنها تارة أو خلطها بمعادن أقل منها في القيمة كخلط النحاس بالذهب وهو ما لاحظه الوزان في رحلته فقال: دراهم هذه البلدة التي يتعاملون بها يكثر بها النحاس"[٤] وهذا يعد إنحرافاً اقتصادياً هدفه إفقار المجتمع التواتي وتدميره اقتصادياً٠ وهو مما يرجح عندي بأن جميع الأعمال المهنية التي مارسها اليهود لم تكن أصلية بل كانت تقليدية مزيفة٠

وخلاصة القول أن اليهود باحتكارهم الميدان الاقتصادي قد أجبروا غيرهم من السكان الأصليين على تنفيذ مخططاتهم في كل الميادين الأخرى بالمجتمع وهو ما سنلاحظه في الجانب السياسي واضحاً٠

---

(١) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ١ ٠ ص١١٧، ص١١٩ ٠ ومواضع أخرى متفرقة٠

(٢) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ١ ٠ ص٢٨٣ ٠

(٣) ابن خلدون٠ ديوان المبتدأ٠ جـ٦ ٠ ص٤٢١ ٠

(٤) الوزان٠ وصف٠ جـ١ ٠ ص١١٨ ٠

ثانياً: النشاط السياسي:

بعد سقوط دولة الموحدين سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م قام على أنقاضها ثلاث دول، هي الدولة الحفصية في تونس، والدولة الزيانية في تلمسان، والدولة المرينية في مراكش[١]، ولقد عانت تلك الدول من الاضطرابات السياسية التي عمتها مما أدى إلى أضعافها وعدم قدرتها في الحفاظ على أرضها أمام البرتغاليين والأسبان الذين احتلوا أجزاء من أرضهم[٢] كما تقلص نفوذهم وانعدم بالداخل الصحراوي حيث الواحات الصحراوية بما فيها منطقة "توات" لذا انتقلت السلطة إلى رؤساء القبائل وزعماء العشائر ولا يزال هذا النظام القبلي هو المتبع والسائد حتى الآن رغم وجود القوانين الحديثة[٣] وليس هذا فحسب بل كلن لكل قرية وقصر لها الحاكم الخاص بها في هذا العصر وهو ما رصده الوزان فقال: "ويدير شئون كل قصر أمير خاص هو رئيس فريقه"[٤].

ولما كان اليهود من طبائعهم التقرب من الحكام لذا فقد تقربوا من هؤلاء الزعماء لإسباغ الحماية عليهم وهم الذين سمّاهم الإمام المغيلي بالغلائف الذين تفانوا في حماية اليهود والقيام بمصالحهم بكثير من المبالغة في مقابل مادي وهو ما دل عليه أحد السائلين للإمام المغيلي

---

(١) مجموعة من المؤلفين. الموسوعة الإفريقية. جـ٢ . ص١٥١ .

(٢) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١٠٠، ص٢٠٨ – ص٢١٣، ص٣٠٢ ومواضيع أخرى، مبروك مقدم.الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي.ص٢٧– ص٢٨

(٣) مبروك مقدم. الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي. ص٤١ .

(٤) وصف إفريقيا. جـ٢ . ص١٢٦ .

قائلا: "ما تقول في مسألة قبائل في آخر الصحراء٠٠٠٠٠ يتخذهم اليهود أخلاء يلقبونهم بالغلائف فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم٠٠٠٠٠ يغشون المسلمين ويخونونهم ويحجرونهم شيأهم ويخدعونهم، ومتى قام عليهم أحدٌ من المسلمين كفته غلائفهم عنهم وخاصمته دونهم حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم"[١] وقد أكد ذلك أحد العلماء المعاصرين قائلاً: "شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم، فيرضي العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجاة اليهودي"[٢] تلك الحماية كانت في مقابل مادي يعطونه هؤلاء الزعماء في صورة هدايا وإعانات وخلافه من هذا القبيل[٣]٠

كان لذلك أثره على اليهود فخرجوا على أحكام الشريعة الإسلامية[٤] فامتنعوا عن أداء الجزية وكذا الحقوق المالية الأخرى من ضرائب ومكوس وجمارك عن تجارتهم وهو الأمر الذي سجله المعاصرون[٥] وهو ما يوحي بعلو منزلتهم على المسلمين٠

---

(١) الأمام المغيلي٠ ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار٠ مخطوط: الخزانة العامة تحت رقم ١٣٨٦ الرباط٠ المملكة المغربية٠ ص١ ٠

(٢) الونشريسي٠ المعيار المعرب٠ جـ٢ ٠ ص٢٤٨ ٠

(٣) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص٢١٧ ٠

(٤) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص٢١٧، ص٢٤٩ ٠

(٥) الونشريسي٠ المعيار المعرب٠ جـ٢ ٠ ص٢١٧، الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ١ ٠ ص٩٩، ص١١٧ ٠

والأدهى من ذلك أنهم قد سكوا العملة باسمهم "ويجعلون السكة بأيديهم دون أمير يكون عليهم"[١] ومعلوم أن السكة من حق الحاكم إذن فهم كانوا يرون في أنفسهم أنهم الحكام الحقيقيين وأن المسلمين هم المحكومين وكان من مظاهر سموهم وعلوهم في المجتمع التواتي أنهم "لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من جفاة العرب وطغاتهم تزيوا بأفخر زي المسلمين"[٢] "والتعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية"[٣] وقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يحولون بين الأهالي والعلماء الوافدين إلى الإقليم كي لا يفطنونهم إلى مكر اليهود وغشهم واحتيالهم واستبدال ذلك بالاحتكام إليهم وهو مما أدى إلى اقتناع الأهالي بهم وبتصرفاتهم عن جهل لدرجة أنهم كانوا يخشون كساد أسواقهم إن هم قهروا اليهود يدل ذلك قول أحد المسلمين للإمام المغيلي "فإذا قيل لهم –للأهالي– إنكم أعنتم اليهود على التمرد ومنع الجزية وإذاية المسلمين، يقولون على هذا أدركنا آباءنا وعليه أدركت آباؤنا آباءهم....."[٤].

ما إن تحقق اليهود من منعتهم وحمايتهم وعلو منزلتهم في المجتمع التواتي حتى بنو كنائس لهم في جميع القصور التي تواجدوا فيها

---

(١) المغيلي. ما يجب على المسلمين. ص١ .

(٢) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢٤٨، ص٢٤٩ .

(٣) المغيلي. رسالة إلى كل مسلم ومسلمة. مخطوط. الخزانة البكرية بتمنطيط (دون رقم). ص١ .

(٤) المغيلي. رسالة إلى كل مسلم ومسلمة. ص١ .

وفي مقدمتها عاصمة الإقليم تمنطيط الذي شيدوا فيه أكبر كنيس لهم[١] إيذاناً منهم عن قوتهم التي حازوها في المنطقة وهو ما فطن له الإمام المغيلي وسيأتي الحديث عنه لاحقاً٠

كما تدخلوا في تعيين منصب القاضي الذي كان مقره في تمنطيط عاصمة الإقليم والذي كان يتمتع باحترام الجميع وكان يتم إيفاده من فاس٠

ولأهمية هذا المنصب دينياً وسياسياً جعل التنافس على أشده من أجل الظفر به ولا يمكن إغفال الدور اليهودي إلى جانب أسرة عبدالله العصنوني في توليته المنصب واحتفاظ أسرته به واحتكارهم له لمدة تزيد عن مائة وخمسين[٢] عاماً وبهذا يكون منصب القاضي قد خرج من دائرة العلم والدين إلى دائرة الوراثة بفضل اليهود٠

وأخلص من ذلك كله بأن اليهود قد استغلوا وسخروا أموالهم وثرواتهم في تحقيق أهدافهم السياسية –وهكذا هم إلى اليوم– لدرجة إن إقليم "توات" بدا وكأنه مستوطنة يهودية لم يتبق من مظاهرها سوى الإعلان بأنها إمارة يهودية٠

---

(١) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٤ – ص٢١٥ ٠

(٢) قومي محمد٠ دور الطائفة اليهودية٠ ص٩٩ ٠

ثالثا: نشاطهم الاجتماعي:

لقد مارس اليهود جميع الحرف والمهن داخل المجتمع التواتي[١] حتى مهنة الجزارة قد مارسوها وذلك لأن الفقهاء قد أباحوا لهم ممارستها نظرًا لتطابق شروط الذبح عند اليهود بما عند المسلمين[٢]، كما مارسوا الأعمال الخدمية في بيوت المسلمين[٣] ولا يخفى الأثر السيء التي تخلفه تلك المهنة على ضعاف المسلمين وبالأخص في مجال العقيدة والأخلاق.

كانت أهم المهن التي مارسها اليهود هي التجارة كما سبق القول والتي احتكروها لأنفسهم سواءً الداخلية منها والخارجية وبالأخص تجارة الذهب وتصنيعه التي سيطروا عليها سيطرة تامة[٤] فحققوا من وراء ذلك ثروات طائلة[٥] ادت إلى انعدام التوازن في المجتمع بينهم وبين المسلمين.

استغل اليهود تلك الثروات الطائلة في استمالة رؤساء العشائر وزعماء القبائل إليهم الذين تفانوا في حمايتهم وخدمتهم والقتال دونهم كما

---

(١) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١١٥، ص١١٧ ومواضع أخرى كثيرة.

(٢) الونشريسي. المعيار المعرب. جـ٢ . ص٢٩، فاطمة بو عمامة. اليهود في المعرب. ص١١١ .

(٣) المغيلي. مصباح الأرواح في أصول الفلاح. تحقيق: عبدالمجيد الخيالي. منشورات دار الكتب العلمية.ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.بيروت لبنان. ص٢٩-ص٣٠ .

(٤) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص٢٨٣ .

(٥) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١٨٣ .

غضوا الطرف عن تجاوزاتهم في المجتمع التواتي[١] مما أدى باليهود إلى أن احتلوا موقع الصدارة بالمجتمع فتمكنوا من بسط نفوذهم وسيطرتهم في المجتمع وكانت لهم فيه الكلمة المسموعة واليد الطولى وهابهم المسلمون فزادت مفاسدهم وضررهم بالمسلمين دون رادع لهم[٢] فخرجوا عن حدود أهل الذمة٠

ولقد ساق العلماء المعاصرون الأقوال التي تؤيد ذلك فيقول أحدهم: "وما يفعله اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل، والسروج الثمينة، ولبس فاخر الثياب، والتحلي بحلية المسلمين في لبس الخف والمهماز والتعمم بالعمائم فمحظور شنيع ومنكر فظيع – ويعلل ذلك بحماية الرؤساء لهم – لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميه أهله في نجاة اليهودي الذي معه فلم يبق إلا أنهم وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من جفاة العرب وطغاتهم فتزيوا بأفخر زي المسلمين٠٠٠٠ بل هم اليوم على أعظم من ذلك"[٣]٠

وللحفاظ على تلك المكتسبات التي حققها اليهود بالمجتمع التواتي ولتحقيق المزيد منها مع مخالفتها لأحكام وأصول الشريعة الإسلامية ولأجل ذلك فقد تصدوا بكل حزم وقوة ضد العلماء المسلمين الذين أرادوا نشر العقيدة السليمة وصحيح الدين بين المسلمين وهو ما سوف يتعارض

---

(١) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٧، ص٢٤٩ ٠

(٢) المغيلي٠ ما يجب على المسلمين٠ ص١ ٠

(٣) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢٤٨– ص٢٤٩ ٠

حتما مع مكتسباتهم وحقيقة أوضاعهم بالمنطقة وما هم عليه وما جبلوا عليه من مكر وخداع وخبث فلئلا تكشف حقيقة أمورهم تصدوا للعلماء بما أوتوا من قوة إمّا بقهرهم عن طريق ذوي السلطان المعاونين لهم وإمّا بإغرائهم بالمال أو بالعمل على طردهم نهائيا من المنطقة وهو مما حدا بكثير من العلماء ترك المنكر دون تغيير "لغلبة الولاة، أو أنكر العلماء فلم يسعفوا، أو علموا أنهم لا يسعفون فتركوا التغيير"[(١)] وإمّا "مداهنة بعض من تتقي شوكته ويخشى –أي العالم– أن يقع عليه إضرار أو حط في المنزلة"[(٢)] وهو مما أدى إلى "تمرد اليهود على الأحكام الشرعية – بسبب التعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب من العلماء في إذلالهم"[(٣)].

لقد حقق اليهود رغبتهم في المنطقة بعدما غاب عنها العلماء الجادين فحلّ الجهل بها وساد وانتصب الجهال وأدعياء العلم للفتوى والتدريس وفي ذلك قال صاحب المعيار: "هذا أمر فاش قد كثرت به البلوى وعمت المصيبة به وهلكت بسببه الأديان والأبدان. وذلك لما ضاع العلم وقلّ القائم به والمناضل عنه وذهب أهل التمييز والتحقيق، فانهمك الناس

---

(١) الونشريسي. المعيار المعرب. جـ٢ . ص٢١٥ .

(٢) المصدر السابق. جـ٢ . ص٢٥٣ .

(٣) المغيلي. مصباح الأرواح في أصول الفلاح. تحقيق: عبدالمجيد الخيالي. دار الكتب العلمية. ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. بيروت لبنان. ص٤٣ .

وتعاطى العلم جهالهم٠٠٠"[١] ومن الطبيعي أن تلك الأوضاع قد صبت في صالح اليهود وحدهم٠

لقد استغل اليهود ما منحته الشريعة الإسلامية لغير المسلمين من أهل الذمة من تسامح وعدل ومساواة لم يشهدوه في أي مكان في العالم سوى ببلاد المسلمين فلقد رأى علماء المسلمين أن حماية أهل الذمة في أنفسهم وأموالهم هو واجب شرعي مثلهم مثل المسلم سواءً بسواء[٢] أقول ورغم ذلك إلا أن اليهود بطبيعتهم في الخسة والنذالة والغش والخيانة[٣] قد عملوا على الإضرار بالمسلمين والنيل منهم وهدم ثوابت الدين في نفوسهم وإشاعة الفجور والرذيلة بينهم٠

ومن الأعمال الاجتماعية الهدّامة التي مارسها اليهود وقاموا بها تلك هي صناعة الخمور التي كانت متواجدة في معظم المجتمعات اليهودية وكانوا يروجونها بين المسلمين وهو ما لاحظه الوزان في رحلته، وانتقي مما ذكره الوزان قوله بأن مدينة "تازا"[٤] كان يسكنها حوالي خمسمائة بيت من اليهود جميعهم يصنعون الخمور ويبيعونها للمسلمين[٥] ويُعَد هذا

---

(١) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٥٠٢ ٠

(٢) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص١٤٥ ٠

(٣) ابن خلدون٠ العبر٠ جـ١ ٠ ص٤٤٣، جـ٧ ٠ ص٣١٦ ٠

(٤) مدينة "تازا" هي مدينة في أول الصحراء على الطريق إلى سلجماسة٠ انظر: مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار٠ ص١٧٦، ص١٨٦ ٠

(٥) وصف إفريقيا٠ جـ١ ٠ ص٣٥٥ ٠

العمل من جانبهم هو نقص لذمتهم عند أصحاب جميع المذاهب الإسلامية[١].

❖ جلبهم وإدخالهم المخدرات إلى المنطقة والمعروف منها وقتئذ مخدر "الحشيش" وقد عدوه من السلع الهامة والرئيسة في القوافل التجارية فكانوا يروجونه بين المجتمعات الإسلامية وبأثمان باهظة ولقد وصفه الوازن بالشيء القذر[٢]، ولا يخفى الأثر السيء الذي يحدثه هذا المخدر على جميع الأصعدة بالمجتمع مما يجعلني أصفه بالشيء المدمر ولقد ذكر الوزان بعض آثاره الظاهرة فقال: "ويتناول التونسيون عادة بعض المستحضرات المسماة بالحشيش وثمنه مرتفع، إذا أكل الإنسان منه أوقية استخفه المرح وأخذ يضحك ويأكل ما يأكله ثلاثة رجال، ويصير أسوأ حالاً من الثمل وهذا المخدر يقوي على الجماع"[٣]. وهو ما يعني الفساد الأخلاقي والتدمير الصحي والاقتصادي وهذا هو الهدف منه والمراد به.

❖ ممارستهم للدعارة ونشرهم للإباحة الجنسية والأعمال اللاأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وهو مما أدى إلى ظهور الأمراض الجنسية كداء الزهري والسيلان بين الشباب المنحرف وانتشاره بينهم وقد أطلق على تلك الأمراض "داء الإفرنج" لأن المنطقة لم تكن تعرف مثل هذه الأنواع من المرض إلا بعد هجرة اليهود الأسبان إلى المنطقة فيذكر الوزان حكاية انتقال هذا المرض إلى البربر واستند في قوله على قذارة اليهود ووضاعة

---

(١) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢٥٠ .

(٢) الوزان. وصف إفريقيا. جـ٢ . ص٥٩ .

(٣) المصدر السابق. جـ٢ . ص٧٨ .

أخلاقهم قائلا: "جاء كثير منهم –أي اليهود– إلى بلاد البربر فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كثير من يهود أسبانيا، وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال جنسي مع نساء هؤلاء اليهود وهكذا انتشر المرض قليلا قليلا٠٠٠ حتى فتك بالناس فتكاً ذريعاً وخاصة تونس"[١]٠

ومما يجب ذكره وعدم إغفاله هنا كشاهد على تقدم الأفارقة المسلمين طبيا وعلميا إذ توصلوا في هذا العصر إلى علاج لتلك الأمراض الجنسية الفتاكة[٢] وهو ما لم يتمكن الغرب من الوصول إليه وقتئذ[٣] إلا بعد سنوات طويلة وهو ما يدحض لفكرة التفوق الغربي الذي يؤمن به الغرب حتى عصرنا الحاضر٠

واستنتج من ذلك همة وسعي اليهود الدؤوب في إغراق المنطقة في وحل المسكرات والمخدرات والجنس والفساد والانحلال الخلقي مع نهب المنطقة اقتصادياً في ذات الوقت، ولا يزال اليهود يؤدون نفس الدور في العالم أجمع حتى عصرنا الحاضر والهدف واضح غير مخفي على أحد ألا وهو تغييب الشعوب حتى يتسنى لهم السيطرة على العالم أجمع وهو الأمر الذي وضح مع ظهور بروتوكلات حكماء صهيون٠

❖ ومن مفاسدهم الاجتماعية أيضا ممارستهم للسحر والشعوذة بين المسلمين بغرض الإضرار بهم وإرهابهم وهو ما توفرت المصادر على

---

(١) المصدر السابق٠ جـ١ ٠ ص٨٤ ٠

(٢) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص٢٨٣ ٠

(٣) المصدر السابق٠ جـ١ ٠ ص٨٤ ٠

ذكره[١] ومما ذكرته المصادر أن الإمام المغيلي أمر بقتل أحد كبار السحرة اليهود بتوات بعد أن حرمهم من الانتفاع بالنار وأضر المجتمع بأعماله السحرية الشريرة[٢].

❁ إذكائهم لنار الفتن والمنازعات والصراعات الحربية بين أبناء الوطن الواحد فقد أذكوا نار الحروب بين القبائل العربية والقبائل البربرية[٣] بالمنطقة وكانوا يعملون على استمراريته لإضعاف شوكتهم وتقوية شوكتهم ومكانتهم هم ولضمان ولاء الطرفين لهم وتأمين تجارتهم ووجودهم وحياتهم الاقتصادية، وهو نفس الدور الذي كانوا يؤدونه بين الأوس والخزرج قديمًا قبل هجرة الرسول(ﷺ) إليهم ولا يزالون يؤدونه حديثًا وصدق الله العظيم القائل عنهم مبينًا هذا الخلق اللئيم فيهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾[٤].

❁ تشكيكهم المسلمين في ثوابت دينهم[٥] والأدهى والأمر والأخطر أن من أظهر الإسلام منهم كانوا أشد خطراً وكيداً على المسلمين[٦] يروي يحيى بو عزيز أن يهوديًا ظل أربعين عامًا يصلي بالناس إمامًا وكان يرش

---

(١) الونشريسي. المعيار المعرب. جـ٢ . ص٣٩٩- ص٤٠٠ .

(٢) المجذوب. موسوعة أعلام المغرب. جـ٢ ص٨١٦ .

(٣) التمنطيطي: محمد بن عبدالكريم. درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام. مخطوط بخزانة المطارفة إدرار. الجزائر (دون رقم). ص١٠- ص١٢ .

(٤) المائدة: آية رقم ٦٤ .

(٥) التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٤٢٣ .

(٦) المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص٢٢٤ .

المسجد والمصلين بالبول حتى كشف الإمام المغيلي أمره ولحق به حيث هرب وقتله[١]٠

وهذا دليل قاطع عن كمية الحقد والحسد والبغض الذي يحمله اليهود للمسلمين، وحتى من تظاهر منهم بالإسلام كان يعمل جاهدًا على هدم ثوابت الدين في نفوس المسلمين وتشويه عقيدتهم مستغلاً ثقة عوام المسلمين بكل من تظاهر بالإسلام، ولم يكن ذلك خافياً على علماء المسلمين الذين كانوا لا يثقون كلية فيمن أعلن إسلامه من اليهود وتظاهر به يؤيد ذلك ما ذكره المراكشي في قوله: "إنما اليهود يظهرون الإسلام، ويصلون في المساجد ويقرؤن أولادهم القرآن جارين على ملتنا وسنتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم"[٢]، ويؤيد ذلك –وأقصد عدم الثقة في اليهودي إن أسلم– الأمثال التي أطلقت وحملت نفس المعنى منها: اليهودي لا يكون مسلم إلا بعد أربعين جد، لا تثق باليهودي إذا أسلم ولو بقى أربعين عاماً، اليهودي يهودي ولو كان على أربعين عرق[٣]٠

---

(١) أعلام الفكر والثقافة في الجزائر٠ جـ٢ ٠ ص١٥٠ ٠

(٢) المراكشي: عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين٠ تحقيق: د/ صلاح الدين الهواري٠ المكتبة العصرية٠ ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م صيدا٠ بيروت٠ ص٢٢٤ ٠

(٣) فاطمة بو عمامة٠ اليهود في المغرب الإسلامي٠ ص١٥٣ ٠

❁ نظرة التكبر والتعالي على المسلمين التي كانوا يعاملونهم بها[١]، وهم الذين آووهم في أوطانهم وأمنوهم في حياتهم وأرواحهم وأموالهم، أقول ولا غرابة في الأخلاق السيئة التي كان عليها اليهود لأنها تعد جزءاً أصيلاً من صميم تكوينهم فهم كانوا ولا زالوا يؤمنون بالعنصرية المقيتة التي يرون من خلالها بأنهم أرقى وأفضل الأجناس البشرية قاطبة، وأن غيرهم دونهم في التفوق والرتبة فهم شعب الله المختار من وجهة نظرهم وهو مما حكاه القرآن الكريم عنهم قائلاً: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[٢] .

❁ هذا فضلا عما سبق القول فيه من سيطرتهم على اقتصاد المنطقة وتعاملهم بالربا بين المسلمين[٣] وهو المنهي عنه في دين الإسلام، وغشهم للصناعات التي كانوا يعملونها بالمجتمع[٤].

ولا يخفى الآثار السيئة لتلك الأعمال في المجتمع وما ينتج عنها من تدمير في شتى مجالات الحياة وهو ما يؤدي إلى انتشار الفقر والمرض والتخلف تلك هي المعوقات الكبرى لمسيرة التقدم والتحضر المنوط بالبشرية والذي حثت عليه الشريعة الإسلامية.

---

(١) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٣٩٩ .

(٢) المائدة: آية رقم ١٨ .

(٣) الونشريسي. النوازل الجامعة. تحقيق: د/ شريف المرسي. دار الآفاق العربية ط الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م القاهرة. ص٤٠٥، المعيار المعرب. جـ٢ . ص١٠ .

(٤) ابن خلدون. ديوان المبتدأ. جـ٦ . ص٤٢١، الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١١٨ .

المبحث الثالث
موقف الإمام المغيلي من أهل الذمة

عاصر الإمام المغيلي أحداثا جسام ففي عصره تم طرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس وتواطؤ اليهود مع القوى الغربية ضد المسلمين[١] ليس هذا فقط بل عمل يهود الداخل –أقصد المقيمين ببلاد المغرب– على التعاون مع الغرب الذين تمكنوا من احتلال بعض المدن الساحلية بمعاونتهم ومساندتهم لهم[٢] متنكرين للأمن والسلام والحرية التي نعموا بها في ظل حماية المسلمين٠

كما عاصر الإمام المغيلي إفساد اليهود السياسي في دولة بني مرين وتسلطهم بالسوء على المسلمين الذين قاموا بثورات عارمة ضدهم أدت في النهاية إلى سقوط الدولة[٣]٠

كما عاين وعايش الفساد السياسي الذي غمر دولة بني زيان، وخروج الأمراء عن التقاليد الإسلامية وانصرافهم إلى حياة اللهو والمجون، وانغماسهم في الملذات حتى أصبح المجتمع الزياني يعاني من الانحلال الأخلاقي[٤]، وتمكن اليهود وسيطرتهم في المجتمع مما أدى إلى اضطراب أحوال البلاد داخلياً بسبب ظلم الحكام والإفساد الكبير لليهود، ومما زاد

---

(١) فاطمة بو عمامة٠ اليهود في المغرب ٠ ص٤٧ ٠

(٢) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ١ ٠ ص١٥٨ ٠

(٣) القاضي المكناسي٠ درة المجال٠ جـ٣ ٠ ص١٥٧– ص١٥٩ ٠

(٤) د/ يحيى بو عزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية٠ دار البصائر ٢٠٠٩م٠ الجزائر٠ ص٦٤ ٠

الأمر سوءاً ضعف العلماء وعدم قدرتهم على تغيير المنكر بالبلاد[١] لهذا قرر الإمام المغيلي بعد ترقيه في العلم ووصوله إلى مرتبة الشيوخ الكبار، والأساتذة الفقهاء المعلمين الرحيل عن تلمسان إلى منطقة توات.

ولما كانت نشأة المغيلي وتعليمه دينياً لذا توافرت عنده الرغبة الكبيرة والعزم الأكيد في العمل على نشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين والقيام بأمر ونشر الدعوة الإسلامية بمنطقة توات فأول ما نزل منطقة أولاد سعيد عاصمة منطقة قورارة وذلك في حدود عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م[٢].

رأى الإمام المغيلي منطقة توات عبارة عن إمارات وممالك صحراوية صغيرة يسيطر عليها رؤساء العشائر وشيوخ القبائل وكبار التجار والأثرياء وأن هذه الممالك كانت تعيش في صراع دائم فيما بينها[٣] وكان يغذي هذا الصراع اليهود كما سلف ذكره، كما أن علماء الدين لم يكن لهم أي دور بالمنطقة سوى في الأمور الدينية ولا دخل لهم في الأمور الدنيوية سياسية كانت أو اقتصادية[٤] وهو مما خلق فراغاً كبيرا لدى سكان المنطقة فكانت تعاملاتهم وعاداتهم وتقاليدهم في معظمها بعيدة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة مما أدى إلى انتشار الجهل والخرافات

---

(١) د/ عبدالله مقلاتي: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية. دار الشروق. ط الأولى ٢٠٠٩م. الجزائر. ص٧٣- ص٧٤ .

(٢) نور الدين حاج أحمد. المنهج الدعوي. ص٣٧ .

(٣) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١٠١، ص١١٧ ومواضع أخرى متفرقة.

(٤) الوزان. وصف إفريقيا. جـ١ . ص١١٧ .

بالمجتمع[١] ومكن اليهود من تنفيذ مخططاتهم التي تخدم مصالحهم الخاصة فسيطروا على المجتمع التواتي وهو ما لاحظه المغيلي بالمنطقة٠

فلقد أحكم اليهود سيطرتهم على الحياة الاقتصادية فاحتكروا التجارة الداخلية منها والخارجية واحتكروا الصناعات المختلفة به مما أدى إلى تضخم ثرواتهم[٢] وبالتالي سيطروا على المنطقة حتى غدوا كأنهم الحكام الحقيقيون فلا يدفعون ضرائب أو جمارك على تجاراتهم ولا جزية يؤدونها إلا بعض الهدايا الصغيرة التي كانوا يؤدونها للزعماء المحليين في المناسبات المختلفة[٣] والأخطر من ذلك كله امتلاكهم حق السكة بالإقليم[٤] ومعلوم أن هذا الحق هو من اختصاص وحق السلطة السياسية ولما كانت المنطقة لا تخضع لأي سلطان سياسي تسك باسمه العملات فيعد امتلاكهم لها مما يوحي بأنهم كانوا الحكام الحقيقيون للمنطقة، ويحق لي القول بأن اليهود قد عملوا على طمس الهوية الإسلامية بالمنطقة استعداداً لإعلانها بأنها إمارة يهودية في الوقت المناسب٠

ويؤيد ذلك سكهم للعملة السالف ذكره إضافة إلى حمل الكثير منهم للسلاح والتدريب على فنون الحرب والقتال[٥] مما يعد نواة لتكوين الجيوش

---

(١) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص٥٩ ٠

(٢) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص٩ص١٣٤ ٠

(٣) المصدر السابق٠ جـ١ ٠ ص٩٩، ص١٠١، ص١١٧ ٠

(٤) المصدر السابق٠ جـ١ ص ٩٩، ص١٠١ ٠

(٥) المصدر السابق٠ جـ١ ص١١١، ص١٤٢ ٠

الحربية التي لا يخفى أهدافها على أحد وهو الشيء المناقض لعهدهم[١]. هذا بخلاف استقطابهم لزعماء العشائر لحمايتهم وتنفيذ مخططاتهم وبحماسة منقطعة النظير "فيرضى العربي أن يستأصل هو وأهله في نجاة اليهودي الذي معه"[٢].

ومما يبين حجم الخطر اليهودي بالمنطقة الأسئلة التي كانت توجه للإمام المغيلي منها:

"ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخلاء ويلقبونهم بالغلائف فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم ويجعلون السكة بأيديهم دون أمير يكون عليهم فيغشون المسلمين ويخونونهم ويحجرونهم شيأهم، ويخدعونهم ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفته غلائفهم وخاصمته دونهم حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم"[٣].

لقد درس المغيلي جميع قضايا الإقليم ومشاكله وبعقلية واعية ومستنيرة رأى عدم التعرض لليهود وقتياً لعدم الصدام معهم وغلائفهم، ورأى أن علاج جميع هذه المشكلات تخل أولا بالعلم ونشر العقيدة الصحيحة بين أهالي الإقليم. وهو ما سعى المغيلي وبذل فيه جهداً كبيراً.

فلقد حقق في مجال الدعوة الإسلامية شهرة واسعة ونجاحاً منقطع النظير وهو بهذا قد بعث نهضة علمية إسلامية واسعة النطاق قد شملت

---

(١) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق. جـ٢ . ص٢٤٨ .

(٣) المغيلي. ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار. ص١ .

كل المنطقة فوفد إليه طلاب العلم من مختلف الأماكن لينهلوا من علمه ويشرفوا بالتلمذة والتربية على يديه٠ ومن الطبيعي أن تترسخ قيمه ومبادئه في طلابه وتلاميذه تلك القيم التي وصفت بالجرأة في الحق[١] فأصبح طلابه على شاكلته مناصرين له ولمذهبه ومبادئه وقضاياه التي يؤمن بها[٢]٠

انتقل المغيلي بعد ذلك إلى الخطوة التالية والتي كان لها أهميتها الخطيرة وأثرها الأكبر وهي بنائه أكبر سوق بالمنطقة والهدف واضح وهو كسر الاحتكار التجاري الذي كان يمارسه اليهود والذي من خلاله تحكموا وسيطروا على المنطقة بأسرها٠ ولقد نمت تلك السوق سريعاً واشتهر أمرها حتى غدت قطباً اقتصادياً كبيرا ربط المنطقة بما جاورها من الأقاليم والبلدان فانفتح مجال المنافسة التجارية ضد اليهود وأذنابهم، هذا الصرح العظيم الذي شيده المغيلي قد قضى نهائيا على الاحتكار اليهودي[٣] وهو مما أدى إلى إضعافهم اقتصادياً٠ وهو ما أشار إليه الشيخ العصنوني بقوله عن اليهود في هذا الوقت "بل ضعفوا في هذا الزمان وأضر بهم العدم"[٤]

ولقد سار العمل في تلك السوق وفق أحكام الشريعة الإسلامية خصوصاً وأن الإمام قد تولى إدارة تلك السوق بنفسه فباشر وأشرف على

---

(١) الحفناوي٠ أبو القاسم محمد الحفناوي٠ تعريف الخلف برجال السلف٠ طبع بمطبعة فونتانة الشرقية ١٣٣٤هـ،/١٩٠٦م٠ الجزائر٠ جـ١ ٠ ص١٦٧ ٠

(٢) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٤ ٠

(٣) حاج أحمد نور الدين٠ المنهج الدعوي٠ ص٣٩ ٠

(٤) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٤ ٠

كل العمليات التجارية كما ابتنى به مكانا للقضاء لحل المشكلات والمنازعات التي قد تحدث بين العملاء وبهذا تكون قد اصطبغت التجارة وكل الأعمال الاقتصادية بالصبغة الإسلامية بعيدة عن المؤثرات اليهودية التي كادت أن تقضي على الهوية الإسلامية[١].

لقد اكتسب المغيلي بتلك الأعمال وغيرها مكانة سامية في نفوس الناس بمنطقة أولاد سعيد الذين تفانوا في محبته إلى حد لا يتصور وهذا مما دفعهم إلى أخذ العهود والمواثيق لحمايته وأهل بيته في تواجده بينهم وأثناء غيابه عنهم في مطاردته لليهود بأقطار توات وغيرها أو انشغاله بشئون الدعوة الإسلامية في إفريقيا وبلاد السودان[٢].

المغيلي في تمنطيط وصدامه مع اليهود:

غادر الإمام المغيلي منطقة أولاد سعيد بعد أن حقق بها أهدافه إلى تمنطيط عاصمة إقليم توات فنزلها في ٨٨٢هـ/١٤٧٧م ليحقق فيها من الإصلاح ما حققه في الإقليم السابق غير أن الأوضاع بها كانت مختلفة فلقد شهدت تلك العاصمة حضوراً مكثفاً وتواجداً كبيراً لليهود الذين تقربوا –كشأنهم في كل زمان ومكان– بذوي السلطان بها الذين أسبغوا عليهم الحماية التي لا نظير لها لدرجة أن الواحد منهم كان يفضل موته وأهله جميعاً دون أن يمس اليهودي أيُّ سوء يقول أحد العلماء المعاصرين: "لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم، فيرضى العربي أن يستأصل هو

(١) حاج أحمد نور الدين. المنهج الدعوي. ص٣٩ .

(٢) المرجع السابق. ص٤٠ .

وجميع أهله في نجاة اليهودي الذي معه، فلم يبق إلا أنهم لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من طغاة العرب تزيوا بأفخر من زي المسلمين٠٠٠ بل هم اليوم على أعظم من ذلك"[١] .

من هذا المنطلق تصرف اليهود في المجتمع وعاثوا فيه فساداً دونما خشية من رادع أو منكر لهم على تصرفاتهم فلم يلتزموا بأحكام أهل الذمة، ولم يراعوا أصول وقواعد الشريعة التي هي عقيدة المجتمع الذي يعيشون فيه وهو الوضع الذي لاحظه الإمام المغيلي وأورده على لسان أحد السائلين له قائلا: "فقد سألني بعض الأخيار، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار ، وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان"[٢] .

ومن خلال هذا السؤال يتبين لنا مظاهر النفوذ والسلطة التي كان عليها اليهود بالمنطقة بسبب حماية ذوي السلطان لهم الذين نعتوا بالغلائف[٣]، وأنهم قد تصرفوا في المنطقة بحرية مطلقة وكأنما منطقة توات هي إمارة يهودية لهم وليسوا فيها كأهل ذمة فلم يدفعوا جزية[٤] ولا

---

(١) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢٤٨- ص٢٤٩ ٠

(٢) المغيلي٠ رسالة: مصباح الأرواح في أصول الفلاح٠ تحقيق: عبدالمجيد الخيالي٠ الخيالي٠ دار الكتب العلمية٠ ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م بيوت٠ لبنان٠ ص٢١-ص٢٢ ٠

(٣) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٥ ٠

(٤) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص٢١٧، الوزان٠ وصف إفوقيا٠ جـ١ ٠ ص٩٠٩، ص٩١٧ ومواضع كثيرة متفرقة٠

ضرائب ولا جمارك على تجاراتهم فتضخمت ثرواتهم كما سبق القول في ذلك أضف إلى ذلك استيلائهم على التجارة واحتكارهم لها ولأهالي المنطقة، ومعاملتهم بأخبث الطرق والوسائل، والأدهى من ذلك مما يدل على تمكنهم بنائهم للبيع والكنائس لهم في جميع القصور التواتية إعلاناً عن قوتهم التي تملكوها بالمنطقة وقد شيدت الكثير منها في تمنطيط عاصمة الإقليم التي حوت إلى جانب الكثرة أعظم وأفخم الكنائس بها[١] .

ولما كان الإمام المغيلي أحد علماء الدين وفقهائه الذين نعتوا بأنه من العلماء المحققين الأتقياء، السني المشهور بمحبته للرسول (ﷺ) وسنته، وبغض أعدائه، القوي الشكيمة في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢] لذا رأى لزاماً عليه تغيير تلك الأوضاع في المجتمع بالحوار والحجة والمنطق أولاً ثم بالقوة إذا لزم الأمر ثانياً.

التقى الإمام المغيلي بقاضي توات بتمنطيط وهو أكبر منصب ديني بالمنطقة وكان يترأسه الشيخ/ عبدالله العصنوني[٣] فأثار معه قضايا الإصلاح بالمجتمع الذي عمه الفساد والانحلال والبعد عن الشريعة الإسلامية، ومما أثير قضية اليهود بتوات فرأى المغيلي ضرورة الرجوع بهم

---

(١) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢١٥ .

(٢) ابن مريم. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ص٢٥٣، ابن عسكر: دوحة الناشر. ص١٣٠، التنبكتي: نيل الابتهاج. ص٥٧٦ .

(٣) الشيخ العصنوني هو: عبدالله العصنوني بن أبي عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمران بن عبدالعزيز بن عبدالله بن العباس. ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي (رضي الله عن آل بيت النبوة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم. آمين. انظر هذا النسب عند: محمد بن عبدالكريم التمنطيطي. درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام. مخطوط بإدرار: الجزائر. جـ١ ص٣٢٤ .

إلى حكم الشريعة الإسلامية، وأفتى بأن يدفعوا الجزية وهم صاغرون، وأن تهدم بيعهم وكنائسهم ويعاملوا معاملة أهل الذمة وفق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية[١] لكن الشيخ/ العصنوني عارضه في ذلك واتهمه بإثارة الفتنة في المجتمع فمما قاله: "فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبدالجبار تشغيباً كاد أن يوقع فتنة"[٢] كما اتهمه العلماء المعارضون له بأنه يسعى من وراء إثارة قضية يهود توات إلى الملك والحكم، وأنه قد اتخذ من هذه القضية سبباً لتحقيق غايته فرد عليهم المغيلي بالنفي وأنه لا مأرب له في ذلك بل هو داعية يبتغي المثوبة من الله لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ما أيده الواقع بهجرته إلى السودان وبلاد إفريقيا للدعوة إلى الله فأسلم علي يديه الكثير[٣] وهو مما يدل على بطلان إدعاء خصومه٠

حرر الشيخ العصنوني رسالة إلى بعض العلماء بتونس وفاس وتلمسان تضمنت فحوى قضية يهود توات والخلاف بينه وبين الشيخ المغيلي مخفيا جوهر الخلاف في المسألة ومظهراً شقها الفقهي دون تدوين لأبعادها الحقيقية[٤] وأرى أن هدف الشيخ العصنوني من وراء ذلك

---

(١) محمد حوتية: توات والأزواد٠ دار الكتاب العربي (دون سنة طبع) الجزائر٠جـ١ ٠ ص٣٢٤ ٠

(٢) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ص٢١٤ ٠

(٣) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣١ ٠

(٤) انظر رسالة العصنوني كاملة عند الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٤-ص٢١٧ ٠

لم يكن لطلب الفتوى فحسب بل هو لتشكيل جبهة مناوئة للمغيلي وإثارة القلاقل ضده يؤيد ما ذهبت إليه بأن الشيخ العصنوني بدأ رسالته بوصف المغيلي ومن معه بالمشاغبين ومثيري الفتن[١]، ولم يبدأ بالقضية محل الفتوى وهي أولى بالتقديم أولا، كما أنه وأثناء عرضه للقضية كان كثيراً ما يشير إلى ما يفهم منه بأن المغيلي ومن معه جماعة من المتشددين والمعاندين ذوي الميول العدوانية[٢] والهدف من وراء ذلك واضح ومعلوم ألا وهو إيغار الصدور ضدهم والاستعداء عليهم، كما ألف في نفس الوقت الإمام المغيلي رسالته التي تناول فيها أحكام أهل الذمة عموماً واليهود خصوصاً مبيناً بها البراهين والحجج المؤيدة لفتواه دون تعرض منه فيها لأحد من معارضيه بالقدح أو الذم، وعنون تلك الرسالة بعنوان:((مصباح الأرواح في أصول الفلاح)) وأرسلها إلى علماء تونس وفاس وتلمسان طلبا للرأي والمشورة حول هذه القضية الحيوية المثارة.

موقف المغيلي من أهل الذمة في ضوء رسالته

تُعَد رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح من أهم الرسائل التي ألفها الإمام المغيلي والتي عالج فيها القضايا التي أثارها بأسلوب سهل وبسيط بعيداً عن التعقيدات اللغوية واللفظية والمصطلحات الفقهية فتناسبت مع الخاصة والعامة، ولاقت رواجاً كبيراً بين العلماء والمثقفين، وعامة الناس، وأحدثت نهضة وصحوة علمية ودينية في كل الأوساط وأرى أن ذلك بسبب

---

(١) الونشريسي. المعيار. جـ٢ ص٢١٤ .

(٢) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢١٦- ص٢١٧ .

رؤية المغيلي الواعية التي التزم فيها بالأسلوب الدعوي الذي هو من صميم عمله ونشاطه ولذا حققت رسالته النجاح والانتشار الواسع٠

ولقد قسم المغيلي رسالته تلك إلى ثلاثة فصول جعل الفصل الأول منها بعنوان (فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار) ولقد قدّم هذا الفصل وجعله بداية رسالته ما شاهده من حماية الرؤساء وذوي السلطان المنعوتين باسم "الغلائف" للجماعات اليهودية بالمنطقة مبينا وموضحا لهم كمسلمين موقف الشريعة الإسلامية منهم وهم مَنْ يعتقدونها كي يصححوا موقفهم وينفضوا عن نصرتهم٠

ولا يخفى الدور الخطير الذي قامت به جماعة الحماية تلك في تمكين اليهود بالمنطقة فهم من أعانوهم وساعدوهم في تشييد بيعهم وكنائسهم بالمنطقة وهم من أنزلوهم بها وهذا ما صرح به العصنوني بقوله: "وهذه –أيضا– يقصد بناء البيع والكنائس– تقتضي أن لمن له الأمر أن يأذن فيها ببلد الإسلام لمن نزلها من الكفار٠٠٠ والغلائف يشبه أن يكونوا كذلك لأنهم إنما نزلوها بأمرهم[١]كما كان لهذا التقارب وتلك الحماية الأثر السيء على المنطقة بأكملها إذ تمكن اليهود من فرض سيطرتهم على المنطقة اقتصادياً وسياسياً، وعبثهم وإفسادهم لحياة الناس الاجتماعية والدينية، وارتفاع شأنهم وعظم مكانتهم حتى خافهم المسلمون وخشوهم[٢]٠

(١) المصدر السابق٠ جـ٢ ٠ ص٢١٦ ٠

(٢) الإمام المغيلي٠ رسالة: مصباح الأرواح٠ ص٢١– ص٢٢ ٠

لقد اتبع المغيلي منهجاً قوياً ومؤثراً في رفع الحماية عن اليهود لأن ذلك خطأ جسيم مخالف للشرع الإسلامي مستندا في ذلك على عدة محاور أولها وأهمها على الإطلاق القرآن الكريم الذي يُعَد أقوى الأدلة وأصحها فلا يعلو شيء فوق كلام الله فذكر من الآيات ما لا يحتاج إلى فهمه كبير جهد فمن الآيات التي ساقها مستدلاً بها على أن الارتفاق يكون بالاتفاق وكل جنس إلى جنسه يألف قوله-تعالى-: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾[١] وقوله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٢] .

ثم استشهد بالسنة وما ورد بها من أحاديث نبوية شريفة وذلك لمكانة هذه الأحاديث في نفوس المسلمين ومما ذكره قوله(عليه الصلاة والسلام): "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين"[٣] وقوله(ﷺ): "المرء مع من أحب"[٤] فمحبة الرسول(ﷺ) تستوجب محبة من يحبه ومعاداة من يعاديه والكفار يبغضونه فالواجب علينا بغضهم[٥] .

---

(١) سورة النور: آية: ٢٦ .

(٢) سورة المائدة: آية: ٥١ .

(٣) صحيح البخاري. كتاب الإيمان. حديث رقم ١٤، ١٥ .

(٤) صحيح مسلم. حديث رقم ٢٦٤٠ .

(٥) المغيلي. مصباح الأرواح. ص٢٤- ص٢٥ .

كما استشهد بالصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) في مواقفهم فأورد فعل الصحابي الجليل أنس بن مالك في محبته للدباء (القرع) لحب رسول الله(ﷺ) للدباء[١] واستدل من ذلك على أن مظاهر محبة الرسول(ﷺ) حب من أحبه ومعاداة من يعاديه ومجانبة من يخالف سنته والابتعاد عن كل من يخالف شريعته[٢] وقد وفق إذ بَيّن بأن القرب والبعد من الناس للناس يجب أن يكون موافقاً وموائماً مع القرب والبعد من الله٠

وزاد بالإيضاح والتفصيل بأقوال العلماء وآرائهم فهم يأتون في المرتبة بعد القرآن والسنة والصحابة فرأيهم مما يستأنس به فذكر لهم مواقف تبين بعدهم وابتعادهم عن اليهود وممن عاونهم[٣]٠

ثم استخلص من ذلك بأن الكاذبين هم مَنْ "يزعمون أنهم يؤمنون بالنبي(ﷺ) ويحبونه، وهم مع ذلك يقربون من أنفسهم، وأهليهم أعداءهم، بل ويقولون أشد الناس عداوة لهم ويقطعون لأجلهم أحبابهم حتى إنهم يأتون اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم[٤]٠

ومن أوجه استدلاله على إقرار منهجه ما رُكِبَ في الطبائع البشرية والنفس الإنسانية التي تنفر من موالاة الأعداء "فلا ترضى لعبد من عبيدك، أو حبيب من أحبابك يُقرب عدواً من أعدائك، لكرهت ذلك منه ونفر قلبك عنه، ولا تقبل منه عذراً حتى يبعد عنه أعداءك فكذلك الله –جلّ

---

(١) المصدر السابق٠ ص٢٥ ٠

(٢) المصدر السابق٠ ص٢٥ ٠

(٣) المصدر السابق٠ ص٢٦– ص٢٧ ٠

(٤) المصدر السابق٠ ص٢٧ ٠

وعلا- ولذا فالواجب على المسلم عدم القرب من الكافر سواءٌ بالنفس أو الأولاد أو المال والأعمال، ويُعَدُّ المخالف ممن لا دين له، ولا عقل ولا مروءة"[١] ثم بين بأن القرب بعد العلم هو من صفات المنافقين واستدل بالعديد من الآيات القرآنية[٢] منها: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[٣].

وبالنظر إلى الآيات القرآنية التي وظفها الإمام المغيلي في هذا الفصل نلاحظ مدى الدقة والعناية في اختياره للآيات القرآنية الصريحة والتي تفهم دون مشقة وعناء وهي كلها تدخل في صلب الموضوع.

كما استدل على مراده وموقفه بالشعر العربي الذي وظفه في كثير من المواطن وذلك لما في طباع الناس من ميل إلى الشعر وهو قد استخدم وسيلة من أجدى الوسائل الإعلامية المؤثرة في كل المنتديات وأسوق بعض أشعاره التي نظمها في هجاء اليهود وأنصارهم، وتحميساً لأنصاره لطرد اليهود من المنطقة.

فمن شعره:

حبيبي من يعادي من أعادني ∴ ويشفي ما بقلبي في الأعادي

ويعلي رأسه بين البرايا ∴ ويفني عن هواه في مرادي

---

(١) المصدر السابق: بتصرف. ص٢٣- ص٢٤ .

(٢) المصدر السابق. ص٢٧- ص٢٨ .

(٣) سورة النساء: آية: ١٣٨- ١٣٩

ومنه:

برئت للرب الودود ∴ من قرب أنصار اليهود
قوم أهانوا دينهم ∴ وأكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شأنهم ∴ وخبث أصل صنعهم
أن قطعوا عن دينهم ∴ ورفعوا دين اليهود[١]

أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان: (فيما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية والصغار) فقد استند في تقرير ووجوب الجزية على أهل الذمة من القرآن الكريم بقوله –تعالى–: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[٢]

وبيّن أن الصغار في أخذ الجزية المذكور في الآية إنما يعني المذلة والمسكنة لهم في جميع أحوالهم حتى وإن ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ثم بيّن بأن الجزية إنما تؤخذ منهم في السنة مرة واحدة وعلى قدر طاقتهم، وأن إستيدائها يكون بطريق وَليّ الأمر، وأن تصرف في المصارف الشرعية، والجزية على غير هذه الصورة كما هو واقع فعلاً فلا تُعَدّ جزية إنما هي رشوة يأخذها ذوي النفوذ من رؤساء العشائر وغيرهم لأنفسهم[٣].

---

(١) المغيلي٠ مصباح الأرواح٠ ص٢٤، ص٤٥– ص٤٦ ٠

(٢) سورة التوبة: آية ٢٩ ٠

(٣) المغيلي٠ رسالة مصباح الأرواح٠ ص٣٦– ص٣٧ ٠

وانطلاقا من الآيات القرآنية التي يقول فيها المولى(ﷻ):﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[١]. وقوله(ﷻ):﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾[٢]، ومن الأحاديث النبوية قوله(ﷺ): لا تكون قبلتان في بلد واحد[٣]، ومن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه): "لا كنيسة في دار الإسلام" وأمره بهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، منعه من إحداث كنيسة في بلاد المسلمين وإجماع علماء المسلمين على ذلك[٤].

ففي ضوء تلك النصوص أفتى الإمام المغيلي بهدم كنائس اليهود بتوات، وإن تملكوا أرضها بأي صفة أو أذن لهم في ذلك سلطان أو قاض أو غيرهما فواجب نقضه "إذ لا يكون إذن واحد ولا حكمه مانعاً من إقامة

---

(١) سورة الفتح: آية: ٢٨ .

(٢) سورة النساء: آية رقم: ١٣٨- ١٣٩ .

(٣) ذكر هذا الحديث في سنن أبي داود. حديث رقم(٣٠٣٢) كما ذكر في سنن الترمذي ومسند أحمد بلفظ: "لا تصح قبلتان في أرض واحدة، وليس على المسلمين جزية". انظر: سنن الترمذي حديث رقم(٦٣٣) ومسند الإمام أحمد حديث رقم(١٩٤٩).

(٤) المغيلي. مصباح الأرواح. ص٣٧- ص٣٩ .

الحق وتغيير المفكر كائناً من كان وإن طال الزمان"[١] فهذا مما لا يتفق مع الصغار الذي نصت عليه الآية والذي من موجباته إخفاء شعائرهم[٢]٠

وفي هذه القضية خالفه العصنوني في جزء ووافقه في آخر، فوافقه على أن هذا الإقليم مما اختطته المسلمون، وخالفه في أن ما به من كنائس لليهود لا تهدم محتجاً لإذن ذوي الأمر لهم وعدم إنكار العلماء عليهم فيقول: "وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حلّ بها علماء فضلاء، وقد شاهدوا الكنائس فيها٠٠٠ وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلايفهم، ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه"[٣]٠ بالرجوع إلى أقوال السابقين وجدت أن رأي المغيلي على صواب وأن الإجماع في صفه[٤]٠

أمّا الفصل الثالث في رسالته فهي بعنوان: "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان، من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان، بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان"٠

استند المغيلي في هذا الفصل على "العهد العمري" وهي الشروط التي أخذها وأوجبها أهل الذمة على أنفسهم وأبرز ما جاء فيه عدم إحداثهم لدور العبادة في بلاد المسلمين وتجديد ما خرب منها، إخفاء

---

(١) المصدر السابق٠ ص٣٩ ٠

(٢) المصدر السابق٠ ص٣٨ ٠

(٣) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٥ ٠

(٤) انظر في ذلك: ابن قيم الجوزية٠ أحكام أهل الذمة٠ تحقيق: يوسف أحمد البكري٠ وآخر٠ رمادي للنشر٠ط الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م٠المملكة السعودية٠جـ٣ ٠ ص١١٨٢- ص١٢١٩ ٠

مظاهر دينهم، عدم التشبه بالمسلمين في أزيائهم، عدم تطاولهم في البنيان على المسلمين، عدم حملهم واقتنائهم للسلاح، إلى المسلم أمر التجارة في الشراكة معهم، وعدم بيعهم الخمور للمسلمين، وشروط أخرى كثيرة[١] كما استند على أقوال العلماء بنقض عهودهم إذا ما أخلوا بواحد من تلك الشروط وخلص من ذلك بنتيجة مفادها أن يهود إقليم توات لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة وتمردوا عليها كلها "ولم يأتوا ولو بواحدة، بل وتمردوا على الأحكام الشرعية٠٠٠ والتعلق بأرباب الشوكة والتعصب بأموالهم على من يتسبب من العلماء في إذلالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم"[٢]٠ ويتفق معه في هذا الحكم الفقهاء والقضاة السابقين[٣] وكثير من المعاصرين سنذكرهم لاحقا٠

وأخلص من ذلك إلى أن الإمام المغيلي لم يتحرك ضد اليهود بسبب دينهم أو لعداوات شخصية فهذا مما لا أصل ولا وجود له، كما أنه ليس بسبب بنائهم للكنائس وفقط بل بإفسادهم وعبثهم في المجتمع، وتكبرهم وتجبرهم على المسلمين، واستغلال ثرواتهم في هدم الثوابت الدينية للمسلمين، ومحاربتهم للعلماء ودعواتهم الإصلاحية في المجتمع فهم حسب قوله: لم يأتوا بالشروط العمرية "ولو بواحدة، بل وتمردوا على

---

(١) ابن القيم الجوزية٠ أحكام أهل الذمة٠ جـ٣ ٠ ص١١٥٩- ص١١٦٤، المغيلي٠ مصباح الأرواح٠ ص٤١- ص٤٣ ٠

(٢) المغيلي٠ مصباح الأرواح٠ ص٤٣- ص٤٤ ٠

(٣) ابن القيم الجوزية٠ أحكام أهل الذمة٠ جـ٣ ٠ ص١٢١- ص١٢٢ ٠

الأحكام الشرعية"[١] أضف إلى ذلك قيامه وتحقيقه لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢] ووفق هذه الفريضة فلا تفرقة عنده بين علية القوم وسفلتهم يدل على ذلك إنكاره على حماة اليهود من ذوي السلطان المنعوتون بالغلائف ولقاضي توات الشيخ العصنوني[٣] قبل تعرضه لليهود٠

المركز الدعوي للمغيلي بالمنطقة:

لم يتمكن المغيلي من مباشرة نشاطه بتمنطيط لكثرة خصومه بها وفي مقدمتهم الشيخ العصنوني قاضي توات٠ فقصد منطقة قصر أولاد علي بالجانب الشرقي من الإقليم فأقام بها وأسس مركزاً ثقافياً يعد الأكبر من نوعه بالمنطقة عُرِفَ بزاوية الإمام المغيلي وذلك في ٨٨٥هـ/١٤٨٠م بدأ المغيلي في هذا المركز نشاطه التعليمي والثقافي واشتهر أمره فقصده طلاب العلم من جميع المناطق من الأحرار والعبيد على السواء وبشغف زائد في تلقي العلم على يديه وبزّ من بين العبيد علماء كثير منهم الفقيه ميمون[٤]٠

لم تقتصر تلك الزاوية على مهمة التربية والتعليم فقط بل سما بها المغيلي لأن تكون دولة وإمارة إسلامية بالمنطقة فأسس بها ما يلزم ذلك فأقام بها مركزاً عسكرياً كان له الفضل في القتال ضد اليهود وأذنابهم

---

(١) المغيلي٠ مصباح الأرواح٠ ص٤٣ ٠

(٢) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣٠ ٠

(٣) الونشريسي٠ المعيار٠ جـ٢ ٠ ص٢١٦ ٠

(٤) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣١ ٠

وطردهم خارج المنطقة، ومركزاً للقضاء للفصل في القضايا والخصومات التي تنشب في المجتمع. وقد ذاع صيت هذا المركز بالمنطقة حتى عُدَّ ثاني أكبر مجلس قضائي بتوات بعد تمنطيط، وأقام أكبر سوق تجاري ينافس به اليهود فعظم شأنه حتى أصبح قطباً اقتصادياً كبيراً ربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان المجاورة ومن خلال تلك السوق تمكن من توطيد العلاقات بينه وبين البلاد المجاورة، كما تمكن من كسب المزيد من الأنصار الجدد الذين كانوا يساعدونه في مهمته هذا فضلاً عن توفير السلع والاكتفاء الذاتي والعائد الاقتصادي الكبير والاستغناء عن منطقة تمنطيط كلية، ثم شيّد ما يلزم العمل التجاري من بناء نُزُل للتجار والمسافرين وحقق الأمن والأمان في ربوع المنطقة، وبهذا يكون المغيلي قد حقق رغبته في إقامة إمارة ودولة إسلامية تحكمها قواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية[١].

ومن الطبيعي أن تتأثر تمنطيط من هذا الوضع الجديد بالسلب فتراجع دورها كثيراً فلم تعد تلك المنطقة هي الأولى وهذا من شأنه التأثير على اليهود وأعوانهم بالبلاد.

(١) عبدالحميد العكبري. النبذة في تاريخ توات. ص٦٩- ص٧٠.

جهاد الإمام المغيلي وطرده لليهود

سبق وأن أفتى الإمام المغيلي فتواه في قضية يهود توات وأرسل إلى العلماء والفقهاء بتونس وفاس وتلمسان ليستطلع رأيهم في ذلك فوافقه الكثيرون على فتواه منهم شيخ الجماعة أبو عبدالله بن غازي[١]،[٢] والونشريسي صاحب المعيار والشيخ السنوسي[٣] والتنسي[٤] وأبو عبدالله الرصاع مفتي تونس، وأبو مهدي عيسى الماواسي مفتي فاس، والقاضي الغماري وغيرهم وما إن وصل جواب التنسي والسنوسي بالتأييد حتى بادر المغيلي بحرب اليهود وهدم كنائسهم[٥] وانتظار المغيلي لرد هذين العالمين لمكانتهم العلمية الكبيرة فكان يقال فيهم "أصل العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي"[٦]٠

---

(١) ابن عسكر٠ دوحة الناشر٠ ص١٣٠ ٠

(٢) ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد بن عازي الفاسي٠ شيخ الجماعة بفاس وأحد علمائها الكبار، وصاحب المؤلفات الكثيرة٠ انظر: التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٥٨١- ص٥٨٣ ٠

(٣) السنوسي هو: أبو عبدالله محمد بن يوسف الحسني السنوسي شيخ العلماء الجامع بين العلم والعمل له المؤلفات الكثيرة٠ انظر ترجمته كاملة عند: مخلوف٠ شجرة النور الزكية٠ جـ١ ٠ ص٣٨٤- ص٣٨٥ ٠

(٤) التنسي: محمد بن عبدالله بن عبدالجليل التنسي التلمساني من أكابر العلماء بتلمسان وأحد مشاهيرهم العظام له المؤلفات العديدة (ت٨٩٩هـ) انظر: التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٥٧٢- ص٥٧٣

(٥) ابن مريم٠ البستان٠ ص٢٥٤ ٠

(٦) المصدر السابق٠ ص٢٤٨ ٠

هؤلاء العلماء الذين أيدوا المغيلي لم يكونوا من الفقهاء الصغار أو المغمورين، وإنما كانوا من كبار الفقهاء ومن لهم شأن وتأثير كبير على المجتمعات فبرأيهم تسير الشعوب والمجتمعات، وتأتي ردود هؤلاء العلماء بموافقة المغيلي ورسائلهم المؤيدة له[١] مما أعطي مساندة له وتشجيعاً كبيراً لأنصاره وفي نفس الوقت صفعة شديدة لليهود وأنصارهم الذين كانوا يساندونهم.

استعد المغيلي لما هو مقدم عليه من تحقيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة بعد فشل الحسني فخطب في أنصاره وأتباعه يستحثهم ويشحذ همتهم في قتال اليهود وأنصارهم وهدم كنائسهم ودور عبادتهم فكان مما قاله: "إن هدم تلك الكنائس واجب بالإجماع، ولا يفتي بتقريرها إلا دجال، ومن مات وهو يهدمها فهو من أهل الجنة، ومن الآخرين فهو من أهل النار" وقال مرة لمن يخاطبه وهم كثيرون: "هذه الجنة، وهذه النار، يشير إلى مكانين من الأرض، من هدمها – يقصد الكنائس– فله الجنة، ومن حماها فله النار" وقال: "هذه محبة رسول الله(ﷺ)، وهذه محبة اليهود، فاختروا أيها شئتم" مستدلا على قوله بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء[٢] ومما قاله مستحثاً أتباعه: من قتل يهودياً فله عليّ سبع مثاقيل، ونظم القصائد

(١) انظر هذه الرسائل عند: اونشريسي. المعيار المعرب. جـ٢ .ص٢٢٥– ص٢٦٦، التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٧٦– ص٥٧٧ .

(٢) الونشريسي. المعيار. جـ٢ . ص٢١٦ .

الشعرية التي تلهب حماس الجماهير في مدح الرسول(ﷺ)، وذم اليهود ومن عاونهم ونصرهم[١]٠

تمكن الإمام المغيلي بهذه الحشود الضخمة من هدم كنائس اليهود[٢] وقتلهم وانتهب الناس أموالهم وشردوهم وطهرت منطقة توات منهم وذلك في سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٢م[٣]٠ ويعد الإمام المغيلي بهذا العمل هو أول من تصدى لليهود بالمنطقة وألزمهم المذلة والصغار ولم يسبقه أحدٌ قبله من العلماء[٤]٠

ما إن انتهى الإمام المغيلي من طرد اليهود من المنطقة ودحر أنصارهم وكبتهم حتى استخلف ابنه عبدالجبار الذي كان يتولى قبل قيادة الشرطة بالمنطقة فاستخلفه على جميع منطقة توات أميراً وكتب في هذا الشأن رسالة تعرف بالرسالة الاستخلافية[٥] وتبين هذه الرسالة بأن الإمام المغيلي بعد طرده لليهود قد أحكم سيطرته الكاملة على جميع توات وأنه كان الحاكم الشرعي للمنطقة، وأنه لم يجد من يصلح لهذه المكانة سوى ابنه عبدالجبار الذي كان على شاكلة أبيه فضلاً عن تمرسه قبل في قيادة

---

(١) التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٥٧٧ ٠

(٢) المصدر السابق٠ ص٥٧٧ ٠

(٣) الوزان٠ وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص١٣٤ ٠

(٤) التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٥٧٦ ٠

(٥) راجع هذه الرسالة عند: حاج أحمد٠ المنهج الدعوي٠ ص٧٧- ص٧٨ ٠

الجيش والشرطة. يقول التمنطيطي: "فلما مهد الأرض استخلف ولده عبدالجبار وغاب لأرض التكرور"[١].

ما إن استتب الأمر للمغيلي في توات بعد طرده لليهود وتشتيتهم حتى غادرها قاصداً بلاد السودان الغربي معلماً وداعياً إلى الله فتقابل مع سلاطين وأمراء تلك المناطق الذين أولوه رعاية خاصة، وأسندوا إليه القضاء والفتوى عندهم وأنزلوه مستشاراً لديهم فوضع لهم الأسس والأطر التي تنظم شئون البلاد وفق أحكام الشرع وقواعده[٢] كما قام بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية ولم ينس مع كثرة أعماله وأشغاله التنبيه على مكر وخداع وفساد اليهود عند الأمراء والسلاطين بتلك البلاد فاستجابوا لهديه وساروا على مذهبه ومنهجه يقول صاحب الدوحة بهذا الخصوص: "وبلغت دعوته – يقصد المغيلي – بلاد السودان فأسلم على يده سلطان تنبكتو وأهل عمله وحسن إسلامهم فهي على حال حسنة إلى هذا العهد، والإسلام في بلادهم غض وشعائره مستجدة، وملكهم على العناية في تعظيم العلم والعلماء، واليهود لا يدخلون بلادهم ولا سائر بلاد الصحراء حيث يظهر اليهودي هناك يقتل ويستباح ماله، وكل من يحمل مال اليهود للتجارة يستباح ماله معه بناءً على مذهب الشيخ ووصيته إلى الآن" وقد حمل مذهبه تلاميذه من بعده وساروا على نهجه وسياسته[٣] وقد لاحظ الوزان ذلك أثناء رحلته إلى تلك المناطق فروى تلك الآثار التي خلفها المغيلي

---

(١) نقلا عن: حاج أحمد. المنهج الدعوي. ص٧٨ .

(٢) التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٧٧، ابن مريم. البستان. ص٢٥٤– ص٢٥٥ .

(٣) ابن عسكر. دوحة الناشر. ص١٣١– ص١٣٢ .

فقال إن ملك تنبكتو عدو لدود لليهود، لا يريد أن يقطن أحدٌ منهم في المدينة وإذا علم أن تاجراً من بلاد البربر يخالطهم أو يتجر منهم صادر أمواله[١].

وأثناء إقامة المغيلي ببلاد التكرور[٢] وفي عاصمتها "كاغو" أو "كانوا" عاصمة مملكة السنغاي وسلطانها أسكيا[٣] محمد الأول (٨٩٩-٩٣٦هـ/١٤٩٣-١٥٢٩م) الذي استعان بالمغيلي في تنظيم شئون الدولة واستجاب لجميع توجيهاته فاحتفى بإظهار شعائر الإسلام ونشره بين القبائل الوثنية المجاورة لبلاده[٤] تقول المصادر أنه في أثناء ذلك جاءته الأخبار بقتل ابنه عبدالجبار بتوات على يد اليهود فانزعج لهذا الخبر السيء، وفي ثورة الغضب طلب من السلطان إسكيا محمد بإلقاء القبض على أهل توات القاطنين بـ"كانوا" العاصمة لأنه كان يرى بأن أهل توات قد أعانوا اليهود على قتل ابنه فامتثل الحاكم لأمره إلا أن الشيخ محمود بن عمر الشهير بأبي المحاسن اعترض وأنكر على المغيلي مما أدى به أن يتدخل لدى السلطان فأطلق سراحهم ممتثلاً لرغبته[٥] ثم رحل الشيخ إلى

---

(١) وصف إفريقيا٠ جـ٢ ٠ ص١٦٧ ٠

(٢) بلاد التكرور تقع في فولتا العليا شمال السنغال حاليا غرب بلاد غانة القديمة٠ مبروك مقدم٠ الإمام محمد بن عبدالكريم٠ ص٣٠ ٠

(٣) أسكيا: لقب يعني القاهر بلغتهم٠ انظر: الموسوعة الإفريقية٠مجلد٢ ٠ص١٨٥

(٤) ابن مريم البستان٠ ص٢٥٥ ٠ الموسوعة الإفريقية٠ مجلد٢ ٠ ص١٨٥-ص١٨٦ ٠

(٥) التنبكتي٠ نيل الابتهاج٠ ص٥٧٧، ابن مريم٠ البستان٠ ص٢٥٥ ٠

توات بقصر أولاد علي ولم تذكر المصادر متى كان ذلك ويبدو أن ذلك قبيل وفاته بوقت قصير إذ وافته المنية في عام (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)[١] بعد رحلة كفاح طويلة خلف من ورائه تاريخاً مجيداً وتراثاً ضخماً وتلاميذ كثر ساروا على منهجه والتزموا طريقه وحملوا مشعل النور من بعده والجهاد على خطى شيخهم وأستاذهم[٢].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه إلى ما تحمله قلوب اليهود من حقد وغلٍّ وعداوة لا نظير لها تجاه هذا العالم الجليل كيف لا وقد وصفهم الله بالقسوة والخبث في كثير من الآيات القرآنية قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾[٣] فتذكر المصادر أن بعض ملاعين اليهود مشى إلى قبره فبال عليه فعمى مكانه[٤].

رحم الله هذا العالم الجليل والشيخ المجاهد وما أحوجنا في هذا الزمن إلى مثله ليقود الأمة ويطهر المسجد الأقصى المبارك من دنس اليهود نسأل الله التيسير فهو وليّ ذلك والقادر عليه. آمين.

---

(١) التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٧٧ .

(٢) ابن عسكر. دوحة الناشر. ص١٣٢ . حاج أحمد نور الدين. المنهج العوي. ص١٨٢ – ص١٨٣ .

(٣) المائدة: آية رقم: ١٣ .

(٤) التنبكتي. نيل الابتهاج. ص٥٧٧، ابن مريم. البستان. ص٢٥٥ .

خاتمة البحث

من خلال هذه الدراسة استخلصت النتائج التالية

- يُعَدُّ الإمام المغيلي من العلماء البارزين الذين ظهروا على الساحة في منتصف القرن التاسع حتى بداية العاشر الهجري وذاع صيته في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي وذلك بسبب غزارة علمه وكثرة مؤلفاته وجهوده الإصلاحية في شتى المجالات ومشاركته في الحياة السياسية والاجتماعية٠
- كان صاحب مدرسة علميّة متميزة فتخرج على يديه الكثير من العلماء والشيوخ الذين حملوا فكر ومنهج أستاذهم فأصبحوا منارات علمية في أوطانهم يحققون منهج أستاذهم ويسيرون على درجه التنويري والإصلاح مما عاد على أوطانهم بالرفعة والنهضة والسمو٠
- تعد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز سمات الإمام المغيلي يطبقها أينما رحل وأقام وهذا ظاهر للعيان ولقد طبق تلك الفريضة بحذافيرها على يهود توات فعمل جاهداً ضدهم وأنصارهم ولم تهدأ له نفس حتى تمكن في نهاية الأمر من ردهم إلى أحكام الشريعة الإسلامية التي تمردوا عليها٠
- تميز هذا العالم بفكر راق وعقلية واعية منظمة إضافة إلى أنه كان يُعَدُّ من ذلك الصنف من الرجال ذوي العزيمة والهمة العالية الذين يقرنون القول بالفعل والعمل أي العمليين٠
- لم يكن من ذلك النوع الذي يسعى من وراء عمله إلى تحقيق مصالح ذاتية بل كان ما يؤرقه اهتمامه بأمر ومصلحة الأمة لذلك كانت أعماله للصالح العام فحينما نزل بـ"توات" وبمطقة أولاد سعيد منها أولا لاحظ

الفساد الذي تعيشه المنطقة والسيطرة التي كان يحياها اليهود وتحكمهم بكل صغيرة وكبيرة بالبلاد فعمل على إزالة سيطرتهم وتحكمهم بالمنطقة فقام بتأسيس مجتمعاً متكاملاً يتوفر فيه كل ما تحتاجه المجتمعات البشرية فأقام الأسواق الكبيرة، وداراً للقضاء ومؤسسة تعليمية ضخمة ومجداً كبيراً وهو ما فعله بعدفي قصر أولاد علي بتمنطيط حينما نزله وزاد فيه مؤسستان ذات أهمية قصوى وحيوية الأولى مؤسسة للشرطة للحفاظ على الأمن، والثانية مؤسسة للجيش ومهمتها للردع والدفاع عن البلاد، وقد جعل هاتين المؤسستين تحت قيادة ابنه عبدالجبار، وبذلك يكون الإمام المغيلي قد أسس إمارة ودولة إسلامية بمنطقة توات تسير وفق قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وتخضع لها جميع قرى وقصور توات.

- لم يكون الإمام المغيلي من عشّاق السلطة ولا محبي الإمارة بدليل حينما أسس الإمارة بتوات انصرف عنها إلى بلاد السودان الغربي ليصحح فيهم العقيدة الإسلامية مما علق بها من بدع وخرافات وتقاليد وثنية إضافة إلى عمله الدؤوب في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية التي أقبلت على الدخول في دين الله أفواجاً.
- التأثير والتأثر الذي ظهر واضحاً جلياً على يد المغيلي بالممالك والإمارات بالسودان الغربي إذ استعان به ملوك تلك البلاد في تنظيم ممالكهم فوضع لهم المؤلفات العديدة التي تنتظم بها ممالكهم في جميع شئوون الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً وفق معطيات وقواعد الشرع الإسلامي فأخذت به تلك الممالك وطبّقته بأرض الواقع مما كان عاملاً رئيساً وسبباً قوياً في نهضتها ولهذا يمكن القول بأن الإمام المغيلي هو أول العلماء وأكثرهم تأثيراً بالسودان الغربي بما حققه فيهم

من ثورة علمية ونهضة إصلاحية لم تعرفها البلاد من قبل ولهذا تأثر به المصلحون الذين أتوا من بعده فاتخذوا من منهجه نبراساً يسيرون عليه٠

۞ كما توصلت من خلال هذه الدراسة أن أهل الذمة وبالأخص اليهود قد عاشوا ببلاد المسلمين ينعمون بالراحة والطمأنينة والسماحة وأنهم تمتعوا بكامل حقوق المواطنة لدرجة توليهم المناصب الكبرى والقيادية بالبلاد فلقد تولى اليهود منصب الوزارة والشرطة في دولة بني مرين إلا أنهم ما إن تمكنوا حتى بدت مساوئهم اتجاه المسلمين الذين آووهم فانقلبوا عليهم وساموهم الويلات وسوء العذاب وكان لعلماء الدين النصيب الأوفى مما كان سبباً في الثورة على بني مرين وسقوط دولتهم٠

۞ تمكن اليهود بمنطقة توات بسبب تواطؤ بعض المسلمين من ذوي النفوذ والسلطان الذين أعانوا اليهود ودعموهم مما سهل على اليهود من بسط نفوذهم والتحكم في شئوون البلاد٠

۞ احتلت منطقة توات موقعا استراتيجياً مهماً فكانت حلقة وصل بين جميع أجزاء قارة إفريقيا فكانت تمثل البداية والنهاية والملتقى لجميع القوافل التجارية التي تمر من وإلى داخل القارة وخارجها٠

۞ استغل اليهود هذا الموقع الاستراتيجي للمنطقة فسيطروا على التجارة واحتكروها لأنفسهم سواءً الداخلية منها والخارجية من خلال تنظيماتهم المحكمة وخططهم الدقيقة فأحكموا قبضتهم على الطريق التجاري الواقع بين المدن الساحلية وبلاد السودان الغربي إذ كان عبر هذا الطريق تنقل البضائع ومنها الذهب والرقيق إلى خارج القارة حيث الأسواق في أوروبا التي كانت تستهلك معظم ذهب قارة إفريقيا٠ وأسواق آسيا وغيرها٠

۞ استغلال اليهود لحاجة السكان للمال فعاملوهم بالربا الذي وصل في كثير من الأحيان إلى مائتي في المائة وأكثر ٠

۞ احتكار اليهود لكل الأنشطة الاقتصادية بالإقليم فسيطروا على الصناعات المختلفة والتي كان من أهمها صياغة الذهب والفضة وتشكيلها ٠

۞ الغش الذي كانوا يمارسونه في المجتمع وبالأخص تزييف المعادن النفيسة كالذهب والفضة وخلطها بمعادن أقل قيمة وترويجها في المجتمع ٠

۞ هدمهم للثوابت الدينية في المجتمع بترويجهم للمسكرات والمخدرات بين أبناء المسلمين ٠

۞ إغراق المنطقة في الانحلال الأخلاقي وذلك بطريق الدعارة التي كان يمارسها نساؤهم بين الشبان المسلمين وأهل الهوى منهم مما أدى إلى انتشار الأمراض الجنسية كـ(الزهري، والسيلان) والذي عُرِفَ بداء الإفرنج والذي قضى على أعداد كثيرة من الشباب ٠

۞ سعيهم الدؤوب في تشكيك المسلمين في دينهم ٠

۞ خيانتهم وعدم أمانتهم فيما يقومون به من أعمال للمسلمين ٠

۞ تكبرهم وتجبرهم على المسلمين وإيمانهم بأنهم شعب الله المختار وتفوق جنسهم عن باقي الأجناس وأن ما على الأرض من بشر وغيره هو ملك لهم وفي خدمتهم ٠

۞ إثارتهم للفتن والحروب القبلية بين أبناء المنطقة ٠

۞ عدد إكتراثهم بأحكام الشريعة الإسلامية وكأنهم ليسوا بأهل ذمة يعيشون في كنف المسلمين وتحت حمايتهم ومن مظاهر ذلك عدم دفعهم للجزية واستبدالها بهدايا تعطى لشيوخ ورؤساء القبائل، عدم

خضوع تجارتهم لأي نوع من الالتزامات المالية فلا ضرائب ولا جمارك تؤخذ منهم فضلاً عن حماية ذوي السلطان لهم٠

۞ سكهم العملات النقدية في الإقليم دون إثبات أمير عليها وهو ما يوحي بأنهم كانوا في البلاد الأمراء الحقيقيون٠

۞ لكل تلك المفاسد التي ارتكبها اليهود في حق المجتمع الإسلامي قد دفع الإمام المغيلي لقتال اليهود وأنصارهم دفعاً بعد أن استنفد معهم كل الوسائل السلميّة أولً من الحوار والمنطق وإلزام الحجة ولما لم تجدي هذه الأساليب معهم شيئاً حاربهم وانتصر عليهم وطردهم نهائياً من المنطقة٠ إذن لم تكن ثورة المغيلي على اليهود بسبب الجنس أو الدين ولكنها كانت بسبب عبثهم ومفاسدهم بالمجتمع والعمل على إصلاح ما أفسدوه والعود بالمجتمع في تعاملاته وجميه أوجه نشاطه إلى قواعد وأركان الشريعة الإسلامية٠

۞ ما كانت لتنجح ثورة المغيلي دون ظهير ونصير لها من أهالي المنطقة إذن فنجاح المغيلي في ثورته لدليل دامغ عن تدفق حب الناس له واطمئنانهم إليه ووثوقهم به مما أدى لكثرة مناصريه فحقق رغبته وما يصبو إليه٠

تمت والحمد لله رب العالمين

هذا وبالله التوفيق وعليه التوكل

قائمة المصادر والمراجع

لم يؤخذ في هذه القائمة بـ(ال) أو(أب) أو(ابن).

أولاً: المخطوطات:

١- **التمنطيطي: محمد بن عبدالكريم**

❖ **درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام**

مخطوط: الجزائر. إدرار (دون رقم)

٢- **المغيلي: محمد بن عبدالكريم**

❖ **ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار**

مخطوط: الخزانة العامة. الرباط. المملكة المغربية. رقم١٣٨٦ .

٣- **رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.**

مخطوط: الخزانة البكرية. تمنطيط. (دون رقم).

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

٤- **د/ أحمد أبا الصافي جعفري**

المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية.

منشورات وزارة الأوقاف ٢٠١٥م. الجزائر.

٥- **أحمد بابا التنبكتي (ت٩٦٣هـ/١٠٣٦م)**

❖ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**

دار الكاتب. ط الثانية - ٢٠٠٠م الجماهرية العربية الليبية.

٦- **د/ أحمد الحمدي**

❖ **الفقيه المصلح محمد بن عبدالكريم المغيلي**

مكتبة الرشاد. ط الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م الجزائر.

٧- **الإدريسي محمد بن محمد**

❖ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**

عالم الكتب٠ ط الأولى ١٤٠٩هـ ٠ بيروت٠

٨- **إسماعيل العربي**

❖ **الصحراء الكبرى وشواطئها**

المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٣م٠ الجزائر٠

٩- **ابن بطوطة محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواني الطبخي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**

❖ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار٠**

أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧هـ٠

١٠- **حاج أحمد نور الدين**

❖ **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء**

الجزائر - ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م٠

١١- **الحفناوي: أبو القاسم محمد الحفناوي الديسي**

❖ **تعريف الخلف برجال السلف**

مطبعة فونتانة الشرقية ١٣٣٤هـ/١٩٠٦م٠ الجزائر٠

١٢- **ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الأشبيلي٨٠٨هـ/١٤٠٥م**

❖ **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر٠**

تحقيق: خليل شحادة٠دار الفكر٠ط الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م بيروت٠

١٣- **ابن خلكان٠ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد**

❖ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**

تحقيق: إحسان عباس٠ دار صادر ١٩٠٠م٠ بيروت٠

١٤- **د/ خير الدين شترة.**

❖ **الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**

منشورات وزارة الأوقاف سنة ٢٠١١م. تلمسان. الجزائر.

١٥- **زامباور.**

❖ **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**

ترجمة د/ زكي محمد حسن بك وآخرون

دار الرائد العرب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. بيروت.

١٦- **الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس.**

❖ **الأعلام.**

دار العلم للملايين ٢٠٠٢م. بيروت.

١٧- **السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر(ت٩٠٢هـ١٤٩٦م)**

❖ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**

منشورات دار ومكتبة الحياة. بيروت. (دون سنة طبع).

١٨- **ابن شمائل: عبدالمؤمن بن عبدالحق القطعي البغدادي (ت٧٣٩هـ)**

❖ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**

دار الجيل: ط الأولى ١٤١٢هـ. بيروت.

١٩- **عبدالقادر باجي.**

❖ **الإمام المغيلي عصره وحياته.**

منشورات وزارة الأوقاف ٢٠١١م. الجزائر.

٢٠- **د/ عبدالقادر زبادية**

❖ **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣هـ/١٥٩١م.**

الشركة الوطنية للنشر ٠ الجزائر ٠ (دون سنة طبع)٠

٢١- **د/ عبدالقادر زبادية**

❖ **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا**

المؤسسة الوطنية للكتاب ٠ الجزائر ٠ (دون سنة طبع)٠

٢٢- **ابن عسكر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني (٩٨٦هـ/١٥٧٨م)**

❖ **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر٠**

تحقيق: أ.د/ محمد حجي٠

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ٠ ط: الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ٠ الرباط٠

٢٣- **العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ٧٤٩هـ**

❖ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**

المجمع الثقافي ٠ ط الأولى ١٤٢٣هـ ٠ أبو ظبي٠

٢٤-**د/ فاطمة بو عمامة٠**

❖ **اليهود في المغرب الإسلامي٠**

مؤسسة كنوز الحكمة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ٠ الجزائر ٠

٢٥-**ابن القاضي المكناسي ٠ أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي**

❖ **درة الحجال في أسماء الرجال**

تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ٠دار التراث ٠١٣٩٠هـ/١٩٧٠م القاهرة

٢٦-**القشتالي: عبدالعزيز القشتالي**

❖ **مناهل الصفا في ذكر موالينا الشرفا**

تحقيق: عبدالكريم كريم ٠ وزارة الأوقاف ١٩٧٢م ٠ الرباط٠

٢٧- **ابن القيم الجوزية: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)**

❖ **أحكام أهل الذمة**

تحقيق: أبو براء يوسف بن أحمد البكري ٠ وآخر ٠

رمادي للنشر ط الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م المملكة العربية السعودية ٠

٢٨-**ليون الإفريقي: الحسن بن محمد الوزان الفاسي ٠**

❖ **وصف إفريقيا٠**

ترجمة: محمد صبحي وآخر ٠

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ٠ ط الثانية١٩٨٣م

٢٩- **أ/ مبروك مقدم٠**

❖ **الإمام محمد بن عبدالكريم التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**

دار الغرب ٢٠٠٦م وهران ٠ الجزائر ٠

٣٠- **المجذوب: عبدالكريم بن المجذوب الفاسي ٠**

❖ **موسوعة أعلام المغرب٠**

تحقيق: عبدالمجيد خيالي ٠

دار الكتب العلمية ٠ ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م بيروت ٠

٣١- **مجموعة من المؤلفتن٠**

❖ **الموسوعة الإفريقية**

المجلد الثاني ١٩٩٧م ٠ جامعة القاهرة ٠

٣٢- **مجهول ٠**

❖ **الاستبصار في عجائب الأمصار٠**

دار الشئون الثقافية ١٩٨٦م بغداد ٠

٣٣- **محمد الطيب بن عبدالرحيم التمنطيطي ٠**

❖ **القول البسيط في أخبار تمنطيط**

تحقيق: فرج محمود فرج٠

المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٧٧م الجزائر

٣٤- **محمد جويته**

❖ **توات الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية**

الجزائر ٢٠٠٩م٠

٣٥-**مخلوف: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت١٣٦٠هـ)**

❖ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية٠**

تحقيق وتعليق: عبدالمجيد خيالي٠

دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م ٠ بيروت٠

٣٦-**المراكشي: عبدالواحد بن علي التميمي |(ت٦٤٧هـ/ ١٤٢٩م)**

❖ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**

تحقيق: د/ صلاح الدين الهواري٠

المكتبة العصرية٠ ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م٠ صيدا٠ بيروت

٣٧- **ابن مريم: أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني**

❖ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان٠**

المطبعة الثعالبية ١٢٣٦هـ/١٩٠٨م٠ الجزائر٠

٣٨- **ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)٠**

❖ **لسان العرب٠**

دار صادر٠ دط الثالثة٠ ١٤١٤هـ٠ بيروت٠

٣٩-**المغيلي**.

❖ **مختصران في الفرائض**.

تحقيق: محمد شايب شريف.

دار ابن حزم. ط الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. بيروت.

٤٠-**المغيلي: محمد بن عبدالكريم**.

❖ **شرح التبيان في علم البيان**.

تحقيق: أبو أزهر بلخير هاشم.

نشر: دار الكتب العلمية ٢٠١٠م. بيروت.

٤١- **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**.

تحقيق: عبدالمجيد الخيالي.

منشورات: دار الكتب العلمية. ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. بيروت. لبنان.

٤٢-**الناصري: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد**.

❖ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**.

تحقيق: جعفر الناصري وآخر.

دار الكتاب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. الدار البيضاء.

٤٣-**د/ نجوى طوبال**

❖ **طائفة اليهود بمجتمع الجزائر**

دار الشروق ٢٠٠٨م. الجزائر.

٤٤-**الونشريسي: أحمد بن يحى الونشريسي (ت٩١٤هـ)**

❖ **النوازل الجامعة**.

تحقيق: د/ شريف المرسي.

دار الآفاق العربية ط الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م٠ القاهرة٠

٤٥- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**

❖ **د/ محمد حجي**

وزارة الأوقاف المغربية ١٤٠١هـ/١٩٨١م٠ الرباط٠

٤٦-**الولاتي: أبو عبدالله محمد البرتلي الولاتي**

❖ **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**

تحقيق: د/ محمد حجي وآخر٠ دار الغرب الإسلامي٠ ط الثانية ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧٤م بيروت٠

٤٧-**ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**

❖ **معجم البلدان٠**

دار صادر٠ ط الثانية ١٩٩٥م٠ بيروت٠

انتهى والحمد لله رب العالمين